منهج السلف

في العناية بالقرآن الكريم

إعداد

د. بدر بن ناصر البدر

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي دار الفضيلة



منهج السلف

في العناية بالقرآن الكريم

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٤٥٨٠ / ٢٠٠٣

الناشر

دار الهدي النبوي

مصر - المنصورة ت : ٠٥٠٢٣٢٣١٧٥

توزيع

دار الفضيلة

السعودية - الرياض - ١١٥٤٣

ص.ب: ٥١١٤٢ تليفاكس: ٢٣٣٣٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فقد أنزل الله عز وجل كتابه القرآن الكريم نوراً وهدى للناس، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، وهداية القرآن قد انداحت دائرتها منذ القدم، فانتظمت الإنس والجن والدنيا والآخرة لخصائص ومميزات انفردت بها تلك الهداية، قال بعضهم: «وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة.

أما عمومها: فلأنها تنتظم الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[2]، وقال جلت حكمته:﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3]، وقال عز اسمه:﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[4].

وأما تمام هذه الهداية: فلأنها احتوت أرقى ما عرفت البشرية وعرف التأريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد

---

(١) سورة المائدة، من الآيتين ١٥- ١٦.

(٢) سورة الأنعام، من الآية ١٩.

(٣) سورة الأنعام ، من الآية ٩٢.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٥٨.

والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه وبالكون الذي يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكمية بين مطالب الروح والجسد.

وأما وضوح هذه الهداية: فلعرضها عرضاً رائعاً مؤثراً، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع، أسلوب فذّ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق، وأمثال خلابة تخرج أدق المعقولات في صورة أجلى الملموسات، وحكم بالغات تبهر الألباب بمحاسن الإسلام وجلال التشريع، وقصص حكيم مختار يقوي الإيمان واليقين ويهذب النفوس والغرائز، ويصقل الأفكار والعواطف .... ويصور له مستقبل الأبرار والفجار تصويراً يجعله كأنه حاضر تراه الأبصار في رابعة النهار». [١]

فهداية القرآن الكريم ليست مقصورة على قوم دون قوم، أو خاصة بفئة دون فئة، ولكنها للإنسانية جمعاء إذا آمنت وصدقت به وسارت على هديه والتزمت منهجه واستضاءت بنوره، كما قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٢]، فهو حجة الله على الناس كافة، به عزهم ورفعتهم متى تمسكوا به وانقادوا له، وعليه يكون الحساب والجزاء، قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾،[٣] وقال ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**».[٤]

وقد اجتهد المسلمون قديماً وحديثاً في العناية بالقرآن الكريم من جميع

---

(١) مناهل الفرقان ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٢) سورة إبراهيم من الآية ١.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٤٤.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه- كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء ١/ ١٠٠ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

الجوانب وفي شتى المجالات، يرومون بذلك الاهتداء به والاستضاءة بنوره، فقد ذكر تعالى جماع أهداف القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]، وهذا يؤكد أن القرآن ليس للتلاوة فقط وإن جاء الأمر به في قوله تعالى:﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾[3] ورتب على ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، بل المراد الأعظم تدبر آياته وتأملها والنظر فيها لتكون الهداية به، ثم إتباع ذلك العمل به والتحاكم ورد الأمور إليه، كما قال تعالى:﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[4].

وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن حياة الشقاء والتعاسة إلى الحياة الطيبة والسعادة الهانئة لن يكون إلا بالعمل بالقرآن والتمسك بتوجيهاته في جميع جوانب الحياة، والعناية به في شتى المجالات، دون غلو أو جفاء، و بلا إفراط أو تفريط، ودون زيغ أو فتنة، بل كما قال تعالى:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾الآية،[6]وهذا هو الإيمان الكامل المتكامل، والعناية الحقة الصادقة بالقرآن الكريم، حين يقترن الإيمان الصادق بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل له المكانة العظمى في

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٩.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

(٣) سورة النمل من الآيتين ٩١-٩٢.

(٤) سورة ص ، الآية ٢٩.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ٧.

(٦) سورة الأنفال ، من الآية ٢٤.

النفوس والتصديق التام والتعظيم الكامل في القلوب مع العناية به تلاوة لآياته وحفظاً لها، تدبراً وتأملاً في هداياتها ودلالاتها، خدمة له بتفسيره وبيان أحكامه والعلم بشريعته والوقوف على نكاته ولطائفه، تحقيقاً تاماً في العمل به والتقيد بتوجيهاته وتطبيق أحكامه والتزام آدابه، كما حكى جل وعلا حال المؤمنين الصادقين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فلا يلقي قياده لهواه ولا يستسلم لشهواته، ولا ينحرف وراء رغباته وملذاته، حتى يقع في وحل الغواية والضلال.

وإن الناظر في سير سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى ليرى منهم عناية بالغة بكتاب الله عز وجل من جميع الجوانب وفي شتى المجالات، يقتدون في ذلك بالأسوة القدوة نبينا محمد ﷺ، لا يغفلون جانباً على حساب جانب آخر في العناية به، بل جاءت عنايتهم بكتاب الله عز وجل كاملة تامة، مع ما ينتابهم من القصور والنقص، إذ هم من جملة البشر، وقد اعترفوا بذلك على أنفسهم.

وفي هذا الكتاب عرض متواضع لوجوه عنايتهم بكتاب الله عز وجل، ووقوف على شيء من سيرهم العطرة في ذلك، إذ أن الإحاطة بجميع ما ثبت عنهم عسير بل متعذر، وقد بذلت جهدي في استقراء كتب التراجم وما كتب في التفسير بالمأثور وفي فضائل القرآن وكتب السنة وغيرها مما هو مظنة وجود ما يخدم الكتاب ويثريه، وقد جعلت هذا الكتاب بعنوان «**منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم**».

و جاءت خطة كتابته كما يلي:-

- المقدمة.

---

(١) سورة النور، الآية ٥١.

- الخاتمـــــة.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وقد سرت في الكتابة حسب المنهج التالي:-

١ ـ عزوت الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٢ ـ خرجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما تيسر لي من كتب السنة، مع ذكر حكم أئمة الحديث المتقدمين والمتأخرين عليه، إن تيسر ذلك.

٣ ـ خرجت الآثار وعزوتها إلى أصحابها، دون توسع في ذكر مصادرها.

٤ ـ لم أترجم للأعلام الذين رُويت عنهم آثاراً قولية أو فعلية في الكتاب لكثرتها.

٥ ـ بينت معاني الكلمات الغريبة.

وبعد هذا كله فإن مادة هذا البحث واسعة تحتاج إلى استقراء تام وتدوين دقيق، وقد بذلت جهدي في ذلك مع اعترافي بالتقصير وعدم الإتيان على كل ما أريد، أسأل الله عز وجل أن ينفع به وأن يجعل كتابه القرآن الكريم حجة لنا لا حجة علينا إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
استشعار نعمة القرآن والاغتباط بها

المطلب الأول: نعمة إنزال القرآن الكريم

إن من فضل الله عز وجل ومنته على هذه الأمة إنزال القرآن الكريم نوراً وهدى ضياء وشفاء، والمؤمن الصادق المعتني بالقرآن تلاوة وحفظاً، تدبراً وتأملاً، فهماً وعملاً، يستشعر هذه النعمة العظيمة ويغتبط بها ويحمد الله جل وعلا أن وفقه لذلك وحببه إليه وأعانه عليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.[١]

وحملة القرآن المعتنون به هم أهل الله وخاصته، المكرمون في الدنيا والآخرة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس، فقيل: من أهل الله منهم ؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**». رواه أحمد وابن ماجة والحاكم.[٢]

وفي هذا العمل الصالح تكون الغبطة والتنافس والمسارعة، فعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله**

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان ١٥-١٦

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٢٨، ١٢٧، وابن ماجة في سننه ـ المقدمة ـ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، ١/ ٤٢ رقم ٢٠٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٦ وجود إسناده ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٧٢: «هذا إسناد صحيح، رجاله موثقون»، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٤٣٢ برقم ٢١٦٥.

مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» رواه البخاري ومسلم،[١] وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثلما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثلما يعمل»**.[٢]

قال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير «ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حسن الحال، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال غبطه يغبطه - بالكسر - غبطاً إذا تمنى ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه، سواءً حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعاً مهلك، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والإعظام».[٣]

وقد أبان الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المراد من الحديث بقوله: «إن الحديث لما كان دالاً على أن غير صاحب القرآن يغتبط صاحب القرآن بما أعطيه من العمل بالقرآن، فاغتباط صاحب القرآن بعمل نفسه أولى إذا سمع هذه البشارة الواردة في حديث الصادق».[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح - كتاب التوحيد - باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن.. »،١٣/ ٥٠٢ برقم ٧٥٢٩، ومسلم في صحيحه بشرح النووي- كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/ ٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل القرآن - باب اغتباط صاحب القرآن ٩/ ٧٣ برقم ٥٠٢٦.

(٣) فضائل القرآن ٨١- ٨٢.

(٤) فتح الباري ٩/ ٧٣.

المطلب الثاني: استشعار السلف نعمة القرآن ومظاهر ذلك

عظم سلفنا الصالح نعمة القرآن الكريم واستشعروا منة الله بها على هذه الأمة، وقدروها حق قدرها، فأبانوا فضلها وأعلوا منزلتها، ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[١]، أنه لما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج ومولى له، فجعل عمر يعد الإبل، فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى ، ويقول مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر كذبت، ليس هذا، هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ الآية، وهذا مما يجمعون.[٢]

وفي موقف آخر لعمر رضي الله عنه أبان الميزان العدل الذي به تعرف مقامات الناس وينزّلون به منازلهم، مع ما ينضم إلى ذلك من تقوى الله عز وجل والعمل الصالح، فعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، فقال: ومن ابن أبزى، قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[٣]، وروي عنه أنه قال: «**ابن أبزى ممن رفعه الله**

---

(١) سورة يونس، الآيتان، ٥٧-٥٨.

(٢) ينظر:تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٢١ ، الدر المنثور ٤/ ٣٦٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ٦/ ٩٨.

بالقرآن»[١].

ومن شكر نعمة العناية بالقرآن الكريم التحدث بها وبيان آثارها وثمارها ودعوة الناس إلى ذلك،يقول سليمان بن مهران الأعمش: «إن الله يرفع بالقرآن أقواماً، وإنني ممن زينه الله بالقرآن، ولولا ذلك لكان على عنقي دنٌّ أطوف به في سكك الكوفة»[٢]، لأنه كان مولى لبني أسد، ويقول مالك بن دينار: «خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحي؟ قال: معرفة الله تعالى وذكره»[٣]، وقال أيضاً: «ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل»[٤]. وأعظمه وأفضله قراءة القرآن الكريم.

إن من يعرف نعمة الله عز وجل عليه بالقرآن يتلوه ويتدبره ويعمل به، ويقدرها حق قدرها ولا يزال موصولاً مرتبطاً بها، يسأل ربه جل وعلا ألا يحرمه إياها وألا يمنعه بركتها وخيرها، بل يتحسر عند انقطاعها ويحزن على ذلك، وذلك دليل صدق المحبة والرغبة، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: - بعد وفاة النبي ﷺ - «**انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان الرسول ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها**». رواه مسلم[٥]، وكان أبو الحلال ربيعة بن زرارة العتكي يقوم آخر الليل بالصلاة والدعاء وتلاوة

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٢.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٥/ ٥٤.

(٣) انظر: حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨،سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٣.

(٤) انظر: حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨

(٥) رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها ١٦/ ٩-١٠.

القـرآن مـع إطالة السجود والانكسار والتذلل بين يدي الله عز وجل، ولما كبر سـنه وضـع لـه مقـام مـرتفع يسـجد علـيه، وكان يقول في سجوده: «اللهم لا تسلبني القرآن»[١].

فـالمؤمن الصادق في حبه القرآن وفرحه به يحمد ربه على ذلك، ويحتفي بما أنعـم الله بـه علـيه بالقـرآن الاحـتفاء المطلـوب، وذلك يتمثل في العناية به من جمـيع الجوانـب وأعظمها وأجلها العمل به والسير على نهجه وتطبيق أحكامه وامتثال أوامره والبعد عن زواجره ونواهيه، ليكون أثره عظيماً وعطاؤه وفيراً، فيعم هديه ويعظم نفعه وتشمله بركته.

---

(١) ينظر حلية الأولياء ٣/ ١٠٥.

المبحث الثاني

تعظيم السلف القرآن الكريم وإجلاله

إن لكتاب الله عز وجل المكانة العظيمة والمنزلة الجليلة، إذ هو كلام الله عز وجل منزل غير مخلوق، وتعظيمه وإجلاله دليل على تعظيم الله سبحانه وخشيته، فليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط به من الإجلال والتقديس والتعظيم والاحترام من جميع الجوانب وفي صور متعددة كالقرآن الكريم، فقد وصفه الله تعالى بأنه كتاب مكنون، وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون، وأقسم على ذلك بقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[1]، وقد أولى سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى هذا الأمر عناية بالغة، معتمدين في ذلك على نصوص الوحيين الكتاب والسنة، وما أداه إليه اجتهادهم وحرصهم على تعظيم القرآن وإجلاله، فالتزموا آداباً في التعامل معه وسلكوا طرقاً شتى تدل على احترامه وتوقيره عندهم، يدعون غيرهم إلى ذلك بعد أن كانوا قدوة لهم، ويحذرون من كل قول أو تصرف يظهر فيه تنقصه أو الإخلال بمنزلته أو الحط من قدره، وينكرون على من يخل بآدابه وما يجب تجاهه أو يتهاون في ذلك، وهذا الاحترام والإجلال موصول لحملته وأهله المعتنين به، فهم أهل الله وخاصته، يتضح ذلك من خلال ما يلي:-

المطلب الأول: ملاحظة آداب التلاوة والالتزام بها.

وقد استفاد العلماء هذه الآداب من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، ودونوها في مؤلفاتهم، يستشهدون على ذلك بامتثال سلفنا الصالح هذه

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٧٥-٨٠.

الآداب ورعايتها والتحذير من ضدها، فمن ذلك استحباب الوضوء قبل تلاوته والتزام الطهارة حالها، مع إحسان الجلسة والاستعداد التام لها بالسواك وقطع المشغلات والملهيات والبعد عن الصوارف والمعوقات، وترك الضحك واللغط حال القراءة.(١)

ومن أدلة ذلك قوله تعالى:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾،(٢) على خلاف بين المفسرين في المراد بقوله: ﴿ ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أهم الملائكة أم المتطهرون من الحدث بالوضوء، وقد رجح الإمام المفسر محمد بن أحمد القرطبي أن الآية دليل وجوب الوضوء عند مس المصحف، واستدل بحديث عمرو بن حزم الآتي، وحكى هذا الرأي عن الجمهور.(٣)

ومن الأدلة أيضاً كتابه ﷺ إلى عمرو بن حزم وفيه: «**وأن لا يمس القرآن إلا طاهر**»(٤)، قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري: «وأحب لمن أراد قراءة القرآن من ليل أو نهار أن يتطهر وأن يستاك، وذلك تعظيم للقرآن، لأنه يتلو كلام الرب عز وجل».(٥)

وفي استحباب السواك قبل القراءة تعظيماً لكلام الله عز وجل، روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك**

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٣، التبيان في آداب حملة القرآن ٥٨-٦١، ١٥١-١٥٤.

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٧٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ٢٢٥-٢٢٦.

(٤) رواه مالك في الموطأ - كتاب القرآن - باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، ١/ ١٩٩، والدارمي في سننه - كتاب الطلاق- باب لا طلاق قبل نكاح، ٢/ ١٦١، وأبو عبيد في فضائل القرآن، ٥٧-٥٨ وغيرهم، وهو ضعيف من طريق عمرو بن حزم لكن له شواهد أخرى تقويه، ينظر: بلوغ المرام ٢٢، إرواء الغليل ١/ ١٥٨.

(٥) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٣.

خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه» -أو كلمة نحوها-[(١)] الحديث.

وقد ذهب بعض السلف إلى كراهية أكل الثوم والكراث والبصل والامتناع منه قبل قراءة القرآن، إكراماً وتقديراً لكلام الله عز وجل، قال قتادة ابن دعامة السدوسي: «ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن»،[(٢)] وعن مسافر الشامي قال: «سمعت يزيد بن عبدالرحمن بن أبي مالك يقول: إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى، فنظفوها ما استطعتم قال: فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن»[(٣)]، ويحكي مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى هذا الأدب الرفيع مع القرآن الكريم عن أهل زمانه فيقول: «كان يكره لمن يريد قيام الليل أن يأكل الثوم والبصل والكراث، ويستحبون أن يمس الرجل عند قيامه طيباً، إذا قام من الليل يمسح شاربه وما أقبل من اللحية».[(٤)]

وقد استحبوا أيضاً للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، لأن تلاوة القرآن عبادة يتقرب بها إلى ربه، فناسب فيها استقبال القبلة، ولأن في ذلك تعظيماً لكلام الله عز وجل، واستحبوا أن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار في أدب وخضوع، كجلوسه بين يدي معلمه، هذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو على فراشه أو غير ذلك من الأحوال جاز، ولكن دون الأول، فقد كان أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي إذا قرأ اعتم ولبس ثيابه وارتدى واستقبل القبلة،[(٥)] ومما يدل على الجواز قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الطهارة- باب تأكيد السواك عند الاستيقاظ من النوم ١/ ٣٨، والبزار في مسنده ٢/ ٢١٤ وقال: «لا نعلمه يروى عن علي بإسناد أحسن من هذا الإسناد»، وجود الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة ٣/ ٢١٤.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥، التذكار ١٠٨.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥.

(٤) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥ ، التذكار ١٠٨

(٥) ينظر: التذكار ١٠٨.

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] الآية، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ عليه وسلم يتكئ في حجري**[٢] **وأنا حائض ثم يقرأ القرآن**» رواه البخاري ومسلم[٣].

وقد فقه الصحابة أن الأمر فيه سعة، فأخذوا بالرخصة، فعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: «إني أقرأ القرآن في صلاتي، وأقرأ على فراشي»،[٤] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير»[٥].

كما استحبوا أيضاً عند إرادة الشروع في القراءة الاستعاذة والبسملة، قاله جمهور العلماء، امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.[٦] [٧]، ومن الأدب أيضاً أن يكظم الشخص تثاؤبه ما استطاع، ولا يرفع به صوته، إذ هو قبيح لا يجمل بالعاقل، ويتأكد هذا في حق المسلم الذي يقرأ كلام الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما**

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٠-١٩١.

(٢) حجري: حضني ، اللسان «حجر» ٤/ ١٦٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الحيض - باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض ١/ ٤٠١ برقم ٢٩٧ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه - كتاب الحيض- باب جواز غسل الحائض رأس زوجها. والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ٣/ ٢١١.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٥٧، وانظر: التبيان ٦٤.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٤٣.

(٦) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٧) ينظر: التبيان ٦٣- ٦٤ بتصرف.

استطاع، فإذا قال: هــاء ضحك منه الشيطان» رواه البخاري.[١]

وعـن أبـي سـعيد الخـدري رضـي الله عـنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل**» رواه مسلم.[٢]

وقـد الـتزم سـلفنا الصـالح هـذا الأدب مـع القرآن الكريم وأرشدوا إليه وحـذروا مـن ضده مما لا يجمل بقارئ القرآن ، قال مجاهد رحمه الله تعالى: «إذا تثاءبـت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبك».[٣]، وعن عكـرمة مـولى ابـن عباس قال: «إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ القرآن فليسكت، ولا يقل: هــا هــا وهو يقرأ».[٤]

ومـثله أيضـاً خـروج الـريح ، فـإن على القارئ إذا خرجت منه الريح أن يمسـك عـن القـراءة حتى تنقضي إجلالاً لكلام الله عز وجل ثم يتوضأ، يقول عبد العزيز بن أبي رواد: «كان مجاهد إذا قرأ فوجد ريحاً أمسك عن القراءة،[٥] وقـال رجـل: لعطـاء بـن أبـي رباح القرشي مولاهم «أقرأ القرآن فيخرج مني الريح؟ قال: تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح»[٦].

ومـن دقيق أدبهم واحترامهم كلام الله عز وجل وهو أعظم الذكر وأفضله مـا روي عـن عـبدالله بـن عـباس أنـه كان يكون بين يديه تور[٧] فيه ماء ، إذا تنخع تمضمض ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع تمضمض.[٨]

---

(١) رواه الـبخاري في صـحيحه - كـتاب الأدب - بـاب مـا يستحب من العطاس، ويكره من التثاؤب ١٠/ ٦٠٧ برقم ٦٢٢٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الزهد- باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ١٨/ ١٢٢.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٦، أخلاق حملة القرآن ٧٥، التذكار١٠٩.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٦، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧ .

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥-٥٦، التذكار ١٠٨.

(٦) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٥.

(٧) تور: إناء يشرب فيه من صفر أو حجارة، اللسان «تور» ٤/ ٩٦

(٨) ينظر: التذكار ١٠٨.

ومما اعتنى به سلفنا الصالح حال القراءة احتراماً للقرآن اجتناب الضحك واللغط والحديث أثناء القراءة، إلا كلاماً يضطر إليه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [(١)]، فعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه» [(٢)] ويجتنب أيضاً ما يقع فيه بعض الغافلين حال القراءة من العبث باليد ونحوها، فإنه يناجي ربه، ومن ذلك النظر إلى ما يلهي ويشغل الذهن ويشوش الفكر فيجتنبه القارئ [(٣)].

قال الإمام القرطبي: «ومنها - أي من الآداب التي تلزم القارئ- يستحب إذا أخذ في سورة لم يشتغل عنها حتى يفرغ منها إلا من ضرورة، وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة، ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة، فإن فيه استخفافاً بالقرآن، كما لو قطع مكالمة أحد فيحدث غيره ممن هو دونه، فإن فيه استخفافاً بذلك، ولأن في إتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الإتباع ويخفى عند التقطيع، وفي سلب زينة قراءة القرآن، فلذلك كان مكروهاً.

ومنها: ينبغي أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي استعاذ بها في البدء، وقال يحي بن معاذ -الرازي -: أشتهي من الدنيا شيئين: بيتاً خالياً، ومصحفاً جيد الخط أقرأ فيه القرآن» [(٤)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير- باب تفسير قوله تعالى: نساؤكم حرث لكم. ٨/ ١٨٩ برقم ٤٥٢٦.

(٣) ينظر: التبيان ٧٢-٧٣ بتصرف .

(٤) ينظر: التذكار في أفضل الأذكار ١٧٧ ـ ١٧٨.

المطلب الثاني: تأدبهم في الحديث عنه والتعامل معه

على هذا درج سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، وتواصوا به وربوا عليه أبناءهم وطلابهم ودعوا إليه غيرهم، تعظيماً لكلام الله عز وجل وإكراماً له، يقرنون في ذلك القول بالعمل، والتعليم والإنكار على من خالف، وقد روي عنهم في ذلك أحوال مرضية، وأقوال مسددة، تدل على أدب جم واحترام تام لكتاب الله عز وجل.

فمن ذلك أنهم كرهوا تصغير كلمة (مصحف) لما قد يدل عليه التصغير من الاحتقار والامتهان والضعة، يحكي ذلك عنهم إبراهيم بن يزيد النخعي بقوله: «كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف، وكان يقال عظموا كتاب الله»[١]، وعن مجاهد قال: «كان يكره يقول: مصيحف أو مسيجد»، وعن سعيد بن المسيب قال: «لا يقول أحدكم مصيحف أو مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل».[٢]

وقال رجل لأبي العالية: «سورة صغيرة - أو قال قصيرة - فقال: أنت أصغر منها، وأما القرآن فكله عظيم»،[٣] وفي رواية قال: «أنت أصغر والأم، القرآن كله عظيم».[٤]

وروي عن خالد بن مهران الحذاء أنه قال لمحمد بن سيرين: «سورة خفيفة، فقال ابن سيرين: من أين تكون خفيفة والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾،[٥] ولكن قل: يسيرة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا

---

(١) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ١٤٨، المصاحف ١٥١.
(٢) الأثران في المصاحف ١٧٠-١٧١ ، المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٨.
(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٩، التذكار ١٢١.
(٤) ينظر: المصاحف ١٧١، غاية النهاية ١/ ٢٨٥.
(٥) سورة المزمل: الآية ٥.

ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(١)][(٢)]»، فهنا جمع ابن سيرين بين الإنكار على من خالف ثم بيّن له التعامل الحسن والواجب المفروض في التعبير عن كلام الله عز وجل، لكن يشكل على هذا ما جاء في بعض الأحاديث والآثار الموقوفة على بعض الصحابة من تسمية قصار المفصل، ومن ذلك ما رواه مروان بن الحكم قال: «**قال لي زيد بن ثابت: مالك تقرأ في المغرب بقصار، وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليين**»[(٣)]، وما رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان»، قال سليمان - أي ابن يسار- «كان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر ويخفف الأخريين ، ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل»[(٤)]، وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال: «**ما من المفصل صورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة**»[(٥)].

والجواب عن هذا أن يقال: إن كان قول قصار المفصل أو سورة صغيرة أو قصيرة من باب الإخبار والإعلام وبيان السنة فلا حرج في ذلك، وعليه تحمل الأحاديث والآثار السابقة، أما إذا فهم أو خشي التنقص أو الاستخفاف عن طريق هذه الكلمات بكتاب الله عز وجل فهذا هو المنهي عنه فيما روي عن بعض السلف رحمهم الله تعالى.

---

(١) سورة القمر: الآية ١٧.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٩، المصاحف ١٧١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه- كتاب الأذان - باب القراءة في المغرب ٢/ ٢٤٦، برقم ٧٦٤، ورواه أبو داود في سننه -كتاب الصلاة- باب قدر القراءة في المغرب ١/ ٢١٥ برقم ٨١٢، وفيه «بقصار المفصل».

(٤) رواه أحمد في المسند ٢/ ٣٠٠

(٥) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب من رأى التخفيف فيها ١/ ٢١٥، برقم ٨١٤.

ومن الأدب الذي يجب مراعاته مع القرآن الكريم ألا يقول أحدهم: نسيت سورة كذا، لما قد يدل عليه من الإهمال والغفلة وعدم العناية بما حفظه، ولذلك روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسّي**» رواه مسلم[١]، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**بئس ما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسّي**» رواه البخاري ومسلم[٢].

ونسيان القرآن على حالتين:-

الأولى: أن ينشأ عن اشتغال بأمر ديني كالجهاد والتعليم، أو بأمر لا طاقة له به فهذا معفو عنه ولا حرج فيه، وعليه يحمل قول النبي ﷺ عندما سمع رجلاً يقرأ سورة بالليل: «**يرحمه الله، لقد أذكرني آية كذا وكذا، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**» رواه البخاري ومسلم[٣].

الثانية: أن ينشأ نسيانه لاشتغاله بأمر دنيوي - لا سيما إن كان محظوراً - فهذا حرام لا يجوز له، وقد عده بعض السلف من كبائر الذنوب، قال الضحاك بن مزاحم: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»،[٤] وعن أبي العالية قال: «كنا نعد من أعظم الذنوب أن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده ٦/ ٧٨

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن - باب نسيان القرآن ٩/ ٨٥ برقم ٥٠٣٨ -٥٠٣٩، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده -٦/ ٧٧-٧٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن - باب نسيان القرآن ٩/ ٨٥ برقم ٥٠٣٨ -٥٠٣٩، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده- ٦/ ٧٧-٧٨.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٠٤، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٢٤.

يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه،[١] وعن ابن سيرين في الذي قرأ القرآن ثم نسيه: «كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً»،[٢] قال القرطبي: «من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي بالرجل إلى الجهل، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد»[٣] ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأمقت القارئ أن أراه سميناً نسياً للقرآن».[٤]

وقد يشتد النكير على المخالف ويهجر بسبب سوء تعبيره وقلة أدبه مع القرآن الكريم، «فقد صحب رجل أم الدرداء - هجيمة الدمشقية - فقالت له:هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: ما أحسن إلا سورة، ولقد قرأتها حتى أدبرتها[٥]، قال فقالت: وإن القرآن ليدبر، فكفت دابتها وقالت: خذ أي طريق شئت» [٦].

وقد استحبوا أيضاً ألا يحمل القرآن ولا يتناول بين الأيدي إلا على طهارة، تعظيماً وإجلالاً لكلام الله عز وجل، روى نافع عن ابن عمر أنه كان لا يأخذ المصحف إلا وهو طاهر [٧]، وعن مالك بن أنس الأصبحي: أنه كان يكره أن يمس المصحف وإن كان بعلاقته- أو قال في علاقته أو كان على وسادة- إلا وهو طاهر، قال: «وليس ذلك إلا إكراماً للقرآن».[٨]

---

(١) ينظر: فتح الباري ٩/ ٨٦.
(٢) ينظر: فتح الباري ٩/ ٨٦.
(٣) ينظر: فتح الباري ٩/ ٨٦.
(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٠٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٢٧.
(٥) أدبرتها: أي جعلتها خلف ظهري معرضاً عنها، ينظر: القاموس «دبر» ٢/ ٢٦.
(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.
(٧) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.
(٨) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.

ومما اتفقوا عليه -إجلالاً للقرآن- كتابته في الشي الكبير وتحسين كتابته، وإيضاح خطه وتحقيقه، قال الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووي: «اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه»[١]، وحرموا كتابته بشيء نجس أو في موضع ممتهن، أو في مكان لا يناسب قدسية كلام الله عز وجل، فعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي: «أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق، فقال:ما هذا؟ قال: القرآن كله، فكره ذلك وضربه، وقال: عظموا كتاب الله، قال: وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سُرّ به»،[٢] وعن أبي حُكيمة العبدي قال: «كنت أكتب المصاحف، فبينما أنا أكتب مصحفاً إذ مر بي علي بن أبي طالب، فقام ينظر إلى كتابي، فقال: أَجْلل[٣] قلمك، قال فقصمت من قلمي قصمة ثم جعلت أكتب فقال: نعم، هكذا نوره كما نوره الله عز وجل»[٤]، وعن عمر بن عبد العزيز قال: «لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ»[٥]، وحكى هذا الأمر النخعي عن السلف بقوله: «كان يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير»،[٦] لأنه عرضة للامتهان والضياع، وعن ابن سيرين أنه كره أن تكتب المصاحف مَشْقاً[٧][٨]، ورأى عمر بن عبدالعزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط فضربه[٩].

---

(١) ينظر: التبيان ١٤٩.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٣، التذكار ١١٩.

(٣) أجلل: صغّر وخذ منه ليدق، القاموس «جلل» ٣/ ٣٥٠.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٣، المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٨، المصاحف ١٤٥.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٧.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٨، المصاحف ١٥١.

(٧) مشْقا: قال في القاموس: «وفي الكتابة مد حروفها» «مشق» ٣/ ٢٨٣.

(٨) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٤، المصاحف ١٥١.

(٩) ينظر: التذكار ١٢٠.

قال الإمام القرطبي معللاً وجوب العناية بكتابة المصحف: «قال العلماء: وذلك أشبه بالإجلال والتعظيم، ألا ترى إلى الناس إذا أرادوا مكاتبة ملك أو سلطان تحروا لها من القراطيس أكبرها وأمتنها وأنقاها، ومن الخطوط أحسنها وأفخمها، ومن المداد أبرقه وأشده سواداً، وفرجوا السطور، ولم يقرمطوها، لئلا يكون قد ضنوا بشيء مما كانت الحاجة إليه في مكاتبته، فيكونوا قد ضيعوا قدره، فكتاب الله أولى بمثل ذلك التبجيل، وأيضاً فإن الكتاب كلما كان أكبر كان من الضياع أبعد».(١)

وقال أيضاً: «قال العلماء: ومن المساهلة فيه وترك الحَفَل به أن يصغر، فيكون عرضة للأيدي الخاطئة وذوي الأمانات المختلفة الناقصة، ولن يفعل هذا أحد بما عنده إلا إذا قل مقداره عنده، وخف على قلبه أمره».(٢)

وقد ذهب طائفة من أهل العلم إلى كراهة بيع المصحف وشرائه، كعلقمة وابن سيرين والنخعي وشريح ومسروق وعبد الله بن يزيد، وذهب آخرون إلى الترخيص في الشراء وكراهية البيع بل والتغليظ فيه، روي هذا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن جبير وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، والصحيح جواز بيعه وشرائه، وهو مذهب طائفة من أهل العلم كابن عباس في رواية عنه والحسن البصري وعكرمة والحكم بن عتيبة وعامر الشعبي.

ولعل السبب في كراهة بيعه أو كراهة بيعه وشرائه معاً أن كتاب الله عز وجل أجل وأكرم من أن يؤخذ عليه ثمن يساويه ويكون قدراً له، والذين أجازوه إنما جعلوا الثمن لورقه وأجرة كتابته وعلاقته وما يحفظ فيه وغلافه

---

(١) ينظر: التذكار ١١٧.

(٢) ينظر: التذكار ١١٩.

نحو ذلك،[١] فعن داود بن أبي هند البصري قال: «سألت أبا العالية عن
راء المصاحف فقال: لو لم يوجد من يشتريها لم يوجد من يبيعها، قال:
سألت عامراً -يعني بن شراحيل الشعبي - فقال: إنما يبيعون الكتاب
الأوراق، ولا يبيعون كتاب الله».[٢]

ولم يكن من هدي سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى تزيين المصاحف
تحليتها بالذهب والفضة، إذ هو مباهاة وتفاخر، وتبذير وإسراف، وبذل
لأموال فيما لا فائدة فيه، كما أن في ذلك كسراً لقلوب الفقراء والمساكين
حرماناً لهم مما فيه منفعتهم وسد عوزهم وحاجتهم، وليس هذا هو الواجب
ياه كلام الله عز وجل، إنما الواجب تلاوته وتدبره والتأثر به والعمل بما فيه
الوقوف عند حدوده والتحاكم إليه.

والمروي عن السلف في كراهية ذلك كثير، فعن أبي وائل شقيق بن سلمة
ال: «مُر على عبدالله - يعني ابن مسعود- بمصحف قد زين بالذهب فقال:
ن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق»،[٣] وعن ابن عباس رضي الله
نهما «أنه كان إذا رأى المصحف قد فُضض أو ذُهّب قال:أتغرون به السارق،
زينته في جوفه»[٤] وكان أبو ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه يقول: «إذا
ليتم مصاحفكم وزوقتم مساجدكم فالدبار عليكم»، وروي مثله عن أبي
لدرداء وأبي بن كعب وأبي هريرة رضي الله عنهم،[٥] وعن الزبرقان بن
مرو بن أمية قال: «قلت لأبي رزين: إن عندي مصحفاً أريد أن أختمه

---

(١) ينظر لهذه المسألة: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٣٧-٢٣٩، المصاحف ١٧٨-١٩٣، التبيان ١٥٤-١٥٥ بتصرف.

(٢) ينظر: المصاحف ١٩٢.

(٣) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩، المصاحف ١٦٨، التذكار ١٢٠.

(٤) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩، المصاحف ١٦٩، التذكار ١٢٠.

(٥) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩، المصاحف ١٦٨.

بالذهب، قال: لا تزيدن فيه شيئاً من أمر الدنيا، قَلَّ ولا كثر».[(١)]

وممن روي عنه جواز تزيين المصحف وتحليته عبد الله بن مسعود في رواية عنه ومحمد بن سيرين.[(٢)]

أما كتابة المصاحف بالذهب فالأمر فيها أشد وأعظم، لذا حكى النهي عن ذلك إبراهيم النخعي بقوله: «كان يُكره أن تكتب المصاحف بالذهب»[(٣)].

المطلب الثالث: تحريم الاستخفاف والاستهزاء به والسفر به إلى بلاد العدو:

من احترام القرآن وإجلاله صيانتُه عن الاستخفاف به بذكره في أمر يعرض من الدنيا والحديث به مع الآخرين، أو الإجابة به عن سؤال في حديث الناس العام ، وإن عد بعضهم -لجهله- هذا الصنيع دليلاً على قو الحفظ وفرط الذكاء وسرعة البديهة، بأن يستظهر الآية في مقام يناسب م دلت عليه من أمر الدنيا، فهذا منهي عنه عند سلفنا الصالح، يحذرون من هذ الصنيع وينكرون على من وقع فيه، نصحاً لكتاب الله عز وجل وأداءً لأمان العلم والبلاغ.

عن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا»[(٤)].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يه بالحاجة فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾،[(٥)] وهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب -يريد: محمد بن مسل ابن شهاب الزهري - «لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ ، يقول: لا

---

(١) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩.
(٢) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩، المصاحف ١٧٠.
(٣) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٤٩، المصاحف ١٦٧، التذكار ١٢٠.
(٤) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٣٧ فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.
(٥) سورة طه ، من الآية ٤٠.

تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل»،[١] قال القرطبي: والتأويل مثل قولك إذا جاء: ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾، أو عند رفع إنسان شيئاً ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾،[٢] ومثل قوله:﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾،[٣] عند حضور الطعام وأشباه هذا»[٤].

وأعظم من هذا الاستهزاء بالقرآن أو سبه ونحو ذلك فإن هذا من الكفر - عياذاً بالله عز وجل- لصريح قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾.[٥]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب معلقاً على قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، أي: أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»[٦]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم: إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدراً بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨-٥٩.
(٢) سورة البقرة من الآية ١٢٧.
(٣) سورة الحاقة، الآية ٢٤.
(٤) ينظر: التذكار ١١٦.
(٥) سورة التوبة، من الآيتين ٦٥-٦٦.
(٦) ينظر: تيسير العزيز الحميد ٥٥٣.

الكلام».[١]

وقال القاضي عياض بن موسى الأندلسي: «اعلم أن من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفاً منه أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع».[٢]

«وفصل بعض السلف الحكم فيمن قال لصبي: لعن الله معلمك وما علمك، فإن قال: أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن، فإنه يؤدب القائل، وإن أراد لعن المصحف فإنه يقتل»[٣].

وقال الإمام النووي: «أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم - والعياذ بالله تعالى- في القاذورات صار الملقي كافراً، قالوا ويحرم توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام»[٤].

ومما نهي عنه السفر بالقرآن إلى بلاد العدو، اتباعاً لسنة النبي ﷺ، وحذراً مما نهى عنه، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما «**أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو**»،[٥] وجاء في رواية: «**مخافة أن يناله العدو**».[٦]

---

(١) ينظر: فتح المجيد ٢/ ٧٢٢.
(٢) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١١٠١.
(٣) ينظر: التبيان ١٣١- ١٣٢.
(٤) ينظر: التبيان ١٥٠.
(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد- باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ٦/ ٢٣٨ برقم٢٩٩٠، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ١٣/ ١٣.
(٦) هذه الرواية في صحيح مسلم ، ينظر: ما سبق.

وبهذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار[١]، وقد أفاد حديث ابن عمر السابق أن علة النهي مخافة امتهان القرآن والنيل منه إذا وقع بأيديهم، خلافاً لما هو الواجب تجاهه من التعظيم والإجلال، فإذا ضمن الاحترام وحيز عن الامتهان فلا بأس في السفر به إلى بلاد العدو.

قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: «أجمع الفقهاء ألا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في جواز ذلك في العسكر الكبير المأمون عليه، فمنع مالك أيضاً مطلقاً وفصل أبو حنيفة، وأدار الشافعية الكراهة مع الخوف وجوداً وعدماً، وقال بعضهم كالمالكية»[٢].

وقال النووي: «فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهو خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذ لعدم العلة، وهذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون»[٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٢١٢

(٢) ينظر: فتح الباري ٦/ ٢٣٩، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ١١/ ٥٧-٥٨

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٣

المبحث الثالث
اهتمامهم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته

المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن وحفظه:

جاءت الأدلة من الكتاب والسنة حاثة على تلاوة القرآن الكريم، والترغيب في الإكثار منها، والاهتمام بحفظه ورعاية هذا الحفظ ومتابعته خشية عليه من التفلت والنسيان، والثناء على أهله.

فقد أمر الله بها رسوله ﷺ، والخطاب له ولأمته، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[١]، وقال تعالى:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٣]، وقد امتثل نبينا ﷺ أمر ربه له بالتلاوة والترتيل بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾[٤]، قال علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن: «إن الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها، فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والأمثال يحصل الاعتبار، فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة»[٥]، وفي صحيح مسلم من حديث سعد بن هشام أنه سأل

---

(١) سورة الكهف، من الآية ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

(٣) سورة النمل، الآيتان ٩١-٩٢.

(٤) سورة المزمل: الآيات ١-٤.

(٥) تفسير الخازن ٧/ ١٦٥.

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت له: «**ألست تقرأ هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة**»[١].

وأرجى آية جاءت في فضل تلاوة القرآن وبيان جزيل ثواب أهلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢]، قال قتادة: «كان مطرف بن عبدالله يقول: هذه آية القراء»[٣]، فقارىء القرآن ولو من غير فهم له الأجر والثواب من الله عز وجل، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد العلم به، وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم، فالآية فيها إشادة بالذين يداومون على تلاوة القرآن ويعملون بمقتضاه، ووعد لهم من الله عز وجل بأنه سيوفيهم جزاء أعمالهم وثواب ما فعلوا من الصالحات، ويزيدهم فوق أجورهم من فضله وإنعامه وإحسانه، والآية أيضاً لم تربط التلاوة بأي درجة من درجات الفهم والعلم للآيات، ولكنها ربطت التلاوة بالصلاة والإنفاق السري والعلني، وتلك دعوة إلى تطبيق ما في القرآن الكريم.

ولن يتسنى له ذلك حتى يتفهم آي الذكر الحكيم ويعتني بفقه أحكامها، ومعرفة معانيها بالنظر في كتب أهل العلم وسؤال أهل الذكر.

فالتلاوة على أي حال مثاب مأجور عليها بإذن الله عز وجل، وهذا من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٦/ ٢٦.

(٢) سورة فاطر، الآيتان ٢٩-٣٠

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٨٧، وانظر: الدر المنثور ٧/ ٢٣.

فضل الله تعالى وعموم رحمته بعباده، وسماحة هذا الدين وشمول طاعاته وقربه لأهله، فلا يحرم أحد الخير والعمل الصالح، والناس في هذا درجات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، إذ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولهذا قال ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» رواه البخاري ومسلم(١)، هذا لفظه من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظ البخاري: «**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**».

وفي بيان أحوال الناس وتفاوت مراتبهم ومنازلهم مع القرآن روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**» رواه البخاري ومسلم.(٢)

وفي فضل تلاوة القرآن جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة منها:عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»،(٣) الحديث رواه مسلم، وعن عبد الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير- باب تفسير سورة عبس ٨/ ٦٩١ برقم ٤٩٣٧، ومسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة حافظ القرآن ٦ / ٨٤.

(٢) رواه البخاري - كتاب فضائل القرآن- باب فضل القرآن على سائر الكلام ٩/ ٦٦ برقم ٥٠٢٠، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة حافظ القرآن ٦/ ٨٣-٨٤ واللفظ له.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٦/ ٩٠.

ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول 'ألم' حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» رواه الترمذي.(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**» رواه أحمد والترمذي(٢)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي.(٣)

وقد ذكر بعض أهل العلم حكماً سامية وراء انفراد القرآن الكريم بخاصية الأجر لمجرد التلاوة، من أبرزها:

١-توفير عامل مهم من عوامل المحافظة على القرآن وبقائه مصوناً من التغيير والتبديل الذين أصابا كتب الله من قبل، ذلك أن هذا الأجر العظيم الذي وعده الله من يتلو كتابه العزيز ولو غير متفهم لمعانيه من شأنه أن يحبب الناس في قراءة القران ويدفعهم إلى الإكثار منها، ويحركهم إلى استظهاره وحفظه، ولا ريب أن انتشار القراءة والقراء والحفاظ يجعل القرآن كثير

---

(١) رواه الترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ٥/ ١٧٥، برقم ٢٩١٠ وقال: «حسن صحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١١٠٤ برقم ٦٤٦٩.

(٢) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٢٣، والترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب ١٨، ٥/ ١٧٧ برقم ٢٩١٣ وقال: «حديث حسن صحيح»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٢/ ٦٥ برقم ١٥٢٤.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٩٢، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة- باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/ ٧٣ برقم ١٤٦٤، والترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب ١٨ برقم ٢٩١٤ وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٣٤٩ برقم ٨١٢٢.

الدوران على الألسنة، واضح المعالم في جميع الأوساط والطبقات، وهنا لا يجرؤ أحد على تغيير شيء فيه، وإلا لقي أشد العنت من عارفيه، كما حدث لبعض من حاولوا هذا الإجرام من أعداء الإسلام.

٢-إيجاد وحدة للمسلمين لغوية، تعزز وحدتهم الدينية، وتيسر وسائل التفاهم والتعاون فيما بينهم، فتقوى بذلك صفوفهم، وتعظم شوكتهم وتعلوا كلمتهم، وتلك سياسة نجحت نجاحاً باهراً، بحيث انضوى تحت اللسان العربي أمم كثيرة مختلفة اللغات ، ونبغ منهم نابغون سبقوا كثيراً من العرب في علوم القرآن وعلوم لغة القرآن.

٣- استدراج القارئ إلى التدبر والاهتداء بهدي القرآن عن طريق هذا الترغيب المشوق في تلاوته وبواسطة هذا الأسلوب الحكيم، فإن من يقرأ القرآن في يومه وهو غافل عن معانيه يقرؤه في غده وهو ذاكر لها، ومن قرأه في غده وهو ذاكر لها دفعه ذلك إلى العمل بهديها، وهكذا ينتقل القارئ من درجة إلى درجة أرقى منها.[(١)]

قلت: يضاف إلى هذا ما ذكرته آنفاً وهو أن التعبد بتلاوته من أدلة رحمة الله بعباده وجوده وإحسانه إليهم، وهو كذلك من صور سماحة هذا الدين وشمول عباداته لأهله، فلا يحرم أحد طاعة أو قربه، والناس في هذا درجات، والمحروم من حرم خير الله عز وجل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

المطلب الثاني: اجتهاد السلف في تلاوة القرآن.

من أجل هذه النصوص وغيرها اجتهد السلف رحمهم الله تعالى في الإكثار من تلاوة القرآن والعناية بحفظه، اغتناماً للأجر وإحرازا لهذه الفضائل، حباً

---

(١) ينظر: مناهل العرفان ٢/ ١٣٠ بتصرف يسير.

لكلام الله عز وجل وأنساً وتلذذاً بتلاوته، وكان هذا الأمر مشهوراً بينهم، يقومون به ويؤدونه كما طلب منهم، لا يتهاونون به، يحكى ذلك عنهم الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فيقول: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المسجد وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله»،[١] ومن أشهر من عرف عنه ذلك من الصحابة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان إذا قيل له في ذلك قال: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل»[٢]، ومن الصحابة المكثرين من تلاوة القرآن المحافظين على حزبهم منه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ففي الصحيحين من حديثه رضي الله عنه أنه كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليلة، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال لي: «**ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟** فقلت: بلى يا نبي الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: **فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام**، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً**، قال: **فصم صوم داود نبي الله عليه السلام، فإنه كان أعبد الناس**، قال قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: **كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**، قال: **واقرأ في القرآن في كل شهر**، قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **فاقرأه في كل عشرين**، قال قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل ذلك من ذلك، قال: **فاقرأه في كل عشر**، قال قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً**، قال: فشددت فشدد علي، قال: وقال لي النبي ﷺ: **إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**، قال:

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٤٢.

(٢) رواه أحمد في كتاب الزهد ص١٨٨.

فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ»[١] ، لأنه كان يداوم على ما اعتاده من الخير، ولم يرغب في تركه، وفي روايـة أنه تنزل معه فقال: «**اقرأه في ثلاث**»[٢] وفي رواية قال: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**».[٣]

وكانوا رحمهم الله تعالى يجدون في تلاوة كتاب الله عز وجل الراحة والطمأنينة والأنس ولذة المناجاة وغير ذلك من المعاني التي تعجز العبارة عن وصفها، فهو كتاب لا يمل قارئه ولا يسأم سامعه، أزال الله سبحانه وتعالى عن قارئه وسامعه- بإخلاص وصدق إيمان- كل ملل وسآمة، تيسيراً لقراءته وإقبالاً بالقلوب والآذان عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٤]، ومصداق ذلك أن المسلم لا يفتأ يقرأ القرآن منذ صغره وفي شبابه وكهولته، يكرره ويردده، يحفظه ويتعاهده، ويزداد يوماً بعد يوم - بعد توفيق الله وهدايته- إقبالاً على تلاوته وتدبر آياته، حباً له وأنساً به ولذة بمناجاة الله به.

وقد عد علماؤنا هذه الخاصية للقرآن الكريم، فدونوها في مؤلفاتهم وعدوها من وجوه إعجازه، قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: «الوجه السابع: - أي من وجوه إعجازه- أن قارئه لا يمل قراءته، وسامعه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن - باب في كم يقرأ القرآن ٩/ ٩٤ برقم ٥٠٥٢، ومسلم في صحيحه - كتاب الصوم - باب النهي عن صوم الدهر ٨/ ٤٢ واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة- باب في كم يقرا القرآن ٢/ ٥٥ برقم ١٣٩١.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٦٥، ١٨٩، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة- باب تحزيب القرآن ٢/ ٥٦ برقم ١٣٩٤، والترمذي في سننه - كتاب القراءات-باب١٣ برقم ٢٩٤٩، وابن ماجة في سننه ما جاء في قيام شهر رمضان - باب في كم يستحب ختم القرآن ١/ ٢٢٥ برقم ١٣٤٧ وصححه الألباني.

(٤) سورة القمر، الآية ١٧.

لا تمجه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يمل من الترديد ويُسْأم إذا أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك»[١]، وقال جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي معدداً وجوه إعجازه: «أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويمل مع الترديد، ولهذا وصف ﷺ القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد[٢][٣]».

وهذا سر قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل»، وهو السبب الذي من أجله أقبلوا على تلاوته وأكثروا من ذلك وحافظوا على حزبهم منه، يقول الحسن بن أبي الحسن البصري: «تفقدوا الحلاوة في ثلاث، الصلاة والقرآن والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة»[٤].

وكانوا في هذا وغيره متمسكين بالسنة مقتدين بالأسوة القدوة، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فلا يتجاوزون ما أرشدهم إليه ولا يخالفون ما أمرهم به وحَدّه لهم في مقدار ما يختم فيه القرآن، ويرشدون إلى ذلك ويدعون

---

(١) نهاية الأرب ، ١٨/ ٣٠٦-٣٠٧

(٢) الاتقان ، ٢/ ١٠١٧.

(٣) انظر: خصائص القرآن الكريم ١٦٣-١٦٤ ، والجملة الأخيرة جزء من حديث رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً- أبواب ثواب القرآن - باب ما جاء في فضل القرآن ٥/ ١٧٢-١٧٣ برقم ٢٩٠٦ وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث -يعني الأعور- مقال» وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١٤٦ عنه «كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف».

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٤٧ برقم ٧٢٢٦.

إلى الأخذ بالسنة وعدم الإثقال والتشديد على النفس، فالخير كله في اتباع هدي النبي ﷺ، يقول أبو العالية الرياحي: «كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختم كل ليلتين مرة، فشق ذلك علينا فجعلنا نختم كل ثلاث ليال مرة، فشق علينا حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ، فعلمونا أن نختم كل جمعة، أو قال: كل سبع، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا»(١).

قال الإمام النووي: «ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليال ختمة، وعن الأكثرين في كل سبع ليال. وعن كثيرين في كل ثلاث ليال والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة»(٢).

وقد كان للسلف رحمهم الله تعالى حزب من القرآن قل أم كثرلايتكاسلون في القيام به، ويحاسبون أنفسهم على ذلك، فقد جاء في سيرة عروة بن الزبير «أنه كان يقرأ ربع القرآن كل يوم ويقوم به ليله، فما تركه إلا ليلة قطعت

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٧/ ١١٣، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٩.

(٢) التبيان ٤٦.

رجله، ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة».[١]

يقول أبو داود الجفري: «دخلت على كرز بن وبرة الحارثي الكوفي في بيته فإذا هو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق وإن ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أحدثته»[٢]، وهذا من دقيق محاسبته نفسه وحرصه على الخير، وحسرته أن فاته حزبه من القرآن حين لم يقرأه من الليل.

كما كان بينهم تعاون على هذا العمل الصالح وتواص دؤوب على القيام به، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣]، فكانوا يجتمعون على تلاوة القرآن ويتدارسونه فيما بينهم، اغتناماً للأجر وتحصيلاً للفضل، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**». رواه مسلم[٤]، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس مع أصحابه في المسجد نادى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: «يا عبدالله بن قيس ذكرنا ربنا، فيقرأ».[٥]

ومن وصاياهم بتلاوة القرآن واستغلال زمن النشاط والقوة في ذلك قول أبي سعيد سعد بن مالك الخدري رضي الله عنه : «عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء...، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ١٧٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٦.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٥/ ٧٩.

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٢.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/ ٢١.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩١.

السماء وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك تغلب الشيطان»[١]، وقال عبد الله بن عون الهلالي: «أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثاً، هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكف عن أعراض المسلمين»[٢]، وعن محمد بن سوقة قال: «قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن يقرأ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق في حاجتك، في معيشتك التي لابد لكْ منها، أتنكرون: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾[٣]، وقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤]، أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي ملأها صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته»[٥].

وقال أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي: «يا معشر الشباب اغتنموا -يعني:قوتكم ونشاطكم- قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحرم ، وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس»[٦]، وإخباره عن عمله ليس من باب السمعة وطلب الثناء والتمدح بين الناس -إن شاء الله- إنما أراد تنشيط السامعين وحفز هممهم للمبادرة إلى الأعمال الصالحة، واستغلال نشاطهم وقوتهم، كما قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» رواه مسلم عن أبي

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٠.
(٢) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ٤١.
(٣) سورة الانفطار، الآيتان ١٠-١١.
(٤) سورة (ق) ، من الآيتين ١٧-١٨.
(٥) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ٣١٤- ٣١٥، سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٦.
(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٧.

هريرة رضي الله عنه [١]، وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفَنِّداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه [٢].

المطلب الثالث: عناية السلف بحفظ القرآن

لم تكن عنايتهم رحمهم الله تعالى مقتصرة على تلاوة القرآن من المصحف، بل كانوا يتسابقون إلى حفظه وضبطه وإتقانه، وقد يسر الله عز وجل قراءته وحفظه لمن أقبل عليه ورغب في اغتنام ثواب تلاوته وحفظه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [٣]، قال ابن عباس: «لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل»، [٤] وقال مجاهد: «يسرنا: هونا قراءته» [٥]، ومن أعظم صورهذا التيسير تيسير تلاوته وحفظه، وهذا من وجوه إعجازه، يقول الإمام علي بن محمد الماوردي: «الوجه السادس عشر من إعجازه: تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار به لسان القبطي الألكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية، فضله بها على سائر كتبه» [٦]، وقال الإمام النويري معدداً وجوه إعجاز

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ٢/ ١٣٣.

(٢) رواه الترمذي في سننه -كتاب الزهد- باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٤/ ٥٥٢برقم ٢٣٠٦ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٣/ ٣ برقم ٢٣١٤.

(٣) سورة القمر: الآية ١٧.

(٤) ينظر: الدر المنثور ٧/ ٦٧٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير- سورة القمر ٨/ ٦١٧، والطبري في تفسيره ٢٧/ ٥٧.

(٦) أعلام النبوة- أبو الحسن الماوردي ص٦٩.

القرآن: «الوجه الثامن: أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ولذلك فإن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها، وإن لازم قراءتها وداوم مدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدة القريبة والنسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه، وهذا من معجزاته»[١].

وفي فضيلة حفظ القرآن ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**» رواه الترمذي[٢]، ولم يترك ﷺ أمراً فيه حث على حفظ القرآن وتشجيع عليه وترغيب فيه إلا سلكه، فكان يفاضل بين أصحابه على قدر حفظهم القرآن، فيعقد الراية لأكثرهم حفظاً للقرآن، وإذا بعث بعثاً أو أرسل وفداً جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن، ويقدم في لحد القبر أكثرهم أخذاً له، ويزوج الرجل المرأة على أن يكون مهرها تعليمه إياها القرآن إلى غير ذلك، فتوافرت الدواعي لحفظ القرآن ونشط الصحابة رضي الله عنهم لحفظه، حسب ما تيسر لهم منه، وقد حفظه عدد كبير منهم، وليس أدل على ذلك من أنه قتل في معركة اليمامة أكثر من سبعين قارئاً، فكم كان عدد القراء في هذا الجيش؟ وكم كان عددهم في جيوش المسلمين كلها في بلاد الإسلام آنذاك[٣]؟.

ومن أمثلة الحفظ عند الصحابة ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**حفظت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين**

---

(١) نهاية الأرب ١٨/ ٣٠٧.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ينظر: خصائص القرآن الكريم ١٦٧-١٦٨ بتصرف.

سورة»[١]، وعند أحمد عن معد يكرب قال: «أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ طسم المائتين ، فقال: ما هي معي ، ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا»[٢]، وبالجملة فقد كان اعتمادهم على الحفظ لقلة الكتابة وعدم تيسر وسائلها.

وقد حث ﷺ على تعاهد ما حفظه قارئ القرآن ومراجعة ما جمعه، لئلا يتفلت عليه ويضيع ما حفظه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**» رواه البخاري ومسلم[٣]، والمراد بصاحب القرآن: من أَلِفَ تلاوته نظراً أو عن ظهر قلب حفظاً، فإن من داوم على ذلك ذل له لسانه، وسهلت عليه قراءته، ودام له إتقانه، فإن هجره ثقلت عليه القراءة وشق عليه استذكار ما حفظه، وشبه الرسول ﷺ استمرار التلاوة ومعاهدة الحفظ بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة.

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال ﷺ: «**بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت، بل نُسّي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم**» رواه البخاري[٤]، وسبب الذم ما فيه من الإشعار

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦/ ٣٤ ، برقم ٣٩٨٠، وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب استذكار القرآن وتعاهده، ٩/ ٧٩ برقم ٥٠٣١، ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده ٦/ ٧٥.

(٤) ينظر الحاشية السابقة.

بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة ، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت آية كذا كأنه شهد على نفسه بالتفريط وعدم اهتمامه وعنايته بما حفظه من القرآن، وفي الحديث حث على المواظبة على التلاوة وتذكير للنفس بمداومة قراءته وعدم التقصير في تعاهده واستذكاره، وإلا تفلت من صاحبه أشد من تفلت الإبل النافرة التي تطلب التفلت ما أمكنها من عقالها.(١)

وما زالت العناية بحفظ القرآن مستمرة في عهد التابعين ومن بعدهم، وممن اشتهر بذلك الإمام المفسر قتادة بن دعامة السدوسي، قال مرة لسعيد بن المسيب: «خذ المصحف فأمسك علي، قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واواً ولا ألفاً ولا حرفاً، ثم قال: يا أبا النضر أحكمتُ؟ قال: نعم. قال: لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة، وإنما قدمت عليه مرة واحدة» (٢)، ويحدث عن نفسه فيقول: «ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي»(٣).

ولذلك يقول بكر بن عبد الله المزني: «من أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة، فما أدركنا الذي هو أحفظ منه» (٤)، وقال محمد بن سيرين: «قتادة أحفظ الناس، أو من أحفظ الناس».(٥)

وممن اشتهر بقوة الحفظ والإتقان سليمان بن مهران الأعمش، يقول أبو بكر شعبة بن عياش: «كان الأعمش يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف، فلا يخطئ في حرف»(٦)، ولذلك قال سفيان بن عيينة: «كان

---

(١) ينظر: فتح الباري، ٩/ ٧٩-٨٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٢، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٦، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٤.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١-٢٧٢، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٣٥.

الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض»[١].

ومن المشهورين بقوة الحفظ واستحضار الآي أبو سهل أحمد القطان يقول أبو عبد الله بن بشر القطان: «ما رأيت رجلاً أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل وتلاوة القرآن، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه، ينتزع منه ما شاء من غير تعب»[٢].

وكانوا مع حرصهم على ضبط ما حفظوه من القرآن وإتقانه يحاسبون أنفسهم ويلومونها على التقصير والخطأ عند قراءته عن ظهر قلب، ويعزون سبب ذلك إلى ذنوبهم وخطاياهم، ومن عقوبة الذنب حرمان الطاعة وعدم إتقان العبادة[٣] قال جعفر بن سليمان الضبعي: «كان مالك بن دينارمن أحفظ الناس للقرآن، وكان يقرأ علينا كل يوم جزءاً من القرآن حتى ختم، فإن أسقط حرفاً قال: بذنب مني، وما الله بظلام للعبيد»[٤].

وقد اختلف السلف في أيهما أفضل القراءة عن ظهر قلب أم القراءة في المصحف، والاختيار هو الجمع بين ما روي عنهم في ذلك، قال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بعد أن ذكر جملة من الآثار المروية عن الصحابة الآمرة بالنظر في المصحف: «فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب، لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال، فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن، لأن الكتابة لا تدل على الأداء.

وقال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع، فإن كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو الأفضل، وإن كان عند النظر في المصحف

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٨.
(٢) ينظر: تاريخ بغداد ٥/ ٤٥-٤٦، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢١.
(٣) ينظر: ما ذكره ابن القيم في الجواب الكافي ١٠٤-١٠٦.
(٤) ينظر: حلية الأولياء ٦/ ٢٨٨.

أكثر فهو أفضل، فإن استويا فالقراءة نظراً أولى، لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف»[١]، وقال النووي: «والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل»[٢].

وقال الإمام القرطبي: «قال العلماء: فائدة القراءة من الحفظ قوة الحفظ، وثبات الذكر، وهي أمكن للتفكر فيه، وفائدة القراءة من المصحف الاستثبات، لا يخلط بزيادة حرف ولا إسقاط حرف، أو تقديم آية أو تأخيرها، وأيضاً فإنه يعطي عينيه حظها منه، فإن العين تؤدي للنفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلبه فإنه يسمع أذنه فيؤدي إلى النفس، وإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء، وذلك أوفى للأداء، وكانت العين قد أخذت حظها كالأذن، ويقضى حق المصحف، لأن المصحف لم يتخذ ليهمل، وله على الانفراد حق فلا يقرأ إلا على طهارة، ألا ترى أن المحدث منهي عن مسه، فكانت القراءة في المصحف أولى وأفضل»[٣].

المطلب الرابع: قيامهم الليل بالقرآن ومحافظتهم على حزبهم منه

كان للسلف رحمهم الله تعالى عناية واجتهاد في اختيار أفضل الأوقات لقراءة القرآن، فأفضلها آخر الليل، مقروناً بالصلاة أو خارجها، فقد أثنى عز وجل على القائمين آخر الليل بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والذكر، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ

---

(١) ينظر: فضائل القرآن ٨٦-٨٧.
(٢) ينظر: التبيان ٧٨.
(٣) ينظر: التذكار في أفضل الأذكار ١٨٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٣.

ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1]، كما أمر الله نبيه ﷺ أن يقوم الليل بالقرآن، والأمر لأمته من بعده، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[3]، وأرشده إلى التوسط والاعتدال بين الجهر والمخافتة فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [4]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ يقول: بين الجهر والمخافتة» رواه البخاري ومسلم[5].

ومما ثبت عن النبي ﷺ في فضل قيام الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والدعاء وغير ذلك قوله: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»رواه مسلم [6]، وقال أيضاً: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» رواه

---

(١) سورة الذاريات ، الآيات ١٥-١٨.

(٢) سورة الإسراء ٧٩

(٣) سورة المزمل، الآيات ١-٤.

(٤) سورة الإسراء، من الآية ١١٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه -كتاب التفسير- باب «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» ٨/ ٤٠٤ برقم ٤٧٢٢، ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة ٤/ ١٦٤-١٦٥.

(٦) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - كتاب الصوم - باب فضل صوم المحرم ٨/ ٥٥.

البخاري ومسلم[١]، وقال أيضاً: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**» رواه البخاري ومسلم [٢].

قال الإمام النووي: «وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وحديث: «**ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل، فيقول: هل من داع فأستجيب له؟**» الحديث، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة**».[٣]

واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه» [٤].

لذا كان من هدي السلف رحمهم الله قيام الليل وإحياؤه بأنواع القربات والطاعات بالقليل أوالكثير، مغتنمين تلك الفضائل العظيمة والأجور الجزيلة، متحلين بتلك النعوت الشريفة الموعود أهلها بالثواب الحسن الذي لا يعلم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن» ١٣/ ٥٠٢ برقم ٧٥٢٩، ومسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/ ٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب الدعاء نصف الليل ١١/ ١٢٩ برقم ٦٣٢١، ورواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الليل ٦/ ٣٦ ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل ٦/ ٣٦، عن جابر رضي الله عنه، ولفظه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من الدنيا و الآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة».

(٤) ينظر: التبيان ٥٢-٥٣.

قدره وحقيقته إلا الله سبحانه، يحكي حالهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: «لقد رأيت أصحاب رسول ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً، بين أعينهم أمثال ركب المعزى. قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم. فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين».[1]

وأمثلة ذلك في سيرهم العطرة كثيرة منها ما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[2]، وعن الربيع بن أنس قال: «كان أبو بكر رضي الله عنه إذا صلى من الليل خفض صوته جداً، وكان عمر رضي الله عنه إذا صلى رفع صوته جداً، فقال عمر: يا أبا بكر لو رفعت من صوتك شيئاً، وقال أبو بكر: يا عمر لو خفضت من صوتك شيئاً، فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بأمرهما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ الآية، فأرسل النبي ﷺ إليهما فقال: «**يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً**»[3]، وفي رواية: «**فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ فقال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت** ﴿وَلَا

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٧٦

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٦/ ٨٠ ، ورواه البخاري مختصراً في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٩/ ٩٢ برقم ٥٠٤٨، قال النووي: «قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه،وكان داود عليه السلام حسن الصوت جداً» شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٨.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٥٠.

تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ **قيل لأبي بكر رضي الله عنه ارفع شيئاً، وقيل لعمر رضي الله عنه اخفض شيئاً»**[١].

وقال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن»[٢]، وجاء في سيرة الربيع بن خثيم الكوفي «أنه كان يقوم بمن الليل ما كتب له ، فتناديه أمه: يا ربيع ألا تنام، فيقول: يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام»[٣]، متذكراً قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾»[٤].

بل قد بلغوا -رحمهم الله تعالى- في هذا مبلغاً عظيماً، حين أحبوا قيام الليل بالصلاة وتلاوة القرآن، لما يجدون في ذلك من الأنس ولذة التلاوة وحلاوة المناجاة، واشتاقوا إلى قدومه، حيث يجدون فيه راحتهم وسعادتهم، ويسألون الله تعالى المزيد من فضله، وألا يحرمهم هذا الخير الذي وفقوا له وأعينوا عليه، وقد حرمه آخرون.

لما حضرت معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري الوفاة قال: «اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الشجر، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»[٥]، وقال أبو زيد معضد العجلي: «لولا ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبا»[٦]، ويقول عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي: «سألت الله ثلاثاً فأعطاني

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٥/ ١٢٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٥٠.
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٩٥.
(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٠.
(٤) سورة الأعراف ، الآية ٤.
(٥) رواه الإمام أحمد في الزهد ص ٢٦٥.
(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٦٠، وابن المبارك في الزهد والرقائق،ص ٩٤.

اثنتين وأنا أنتظر الثالثة، سألته أن يزهدني في الدنيا ، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها»[١]، وقد مر آنفاً دعاء أبي الحلال زرارة بن ربيعة العتكي لما كبر، حيث كان يدعو ربه: «اللهم لا تسلبني القرآن»[٢].

ومن صور حبهم قيام الليل بالقرآن وعدم الإخلال بجزء منه محافظتهم على ذلك في السفر، مع ما ينالهم فيه من التعب والمشقة، وبخاصة في تلك الأزمان، قال همام بن يحي العوذي: «ما رأيت قط أصبر على طول القيام والسهر من ثابت البناني صحبناه مرة إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلي، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً»[٣]، وقال أبو الطيب موسى بن يسار: «صحبت محمد بن واسع الأزدي البصري من مكة إلا البصرة، فكان يصلي الليل في المحمل جالساً، يومئ برأسه إيماء، وكان يأمر الحادي يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له»[٤].

وكانوا رحمهم الله تعالى يقضون حزبهم من القراءة بالليل في النهار إذا فاتهم فلم يقوموا بأدائه، محافظة على عملهم ومداومة عليه، امتثالاً لسنة النبي ﷺ وتأسياً به، فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»**[٥].

يقول عبد الرحمن بن عبد القاري: «استأذنت على عمر بالهاجرة، فحبسني

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٥٥.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٠٥.
(٣) ينظر: صفة الصفوة ٣/ ٢٦٢.
(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٦.
(٥) رواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل ٦/ ٢٩.

طويلاً، ثم أذن لي وقال: إني كنت في قضاء وردي»[١]، وقال: خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي: «دخلت على عبد الله بن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة»[٢]، وممن روي عنه المحافظة على تلاوة حزب من القرآن لا يخل بذلك الإمام عبد الله بن عون الهلالي، فإن لم يتيسر له أداؤه أو بقي بعضه أتمه بالنهار، يقول بكار بن محمد السيريني: «كان له - أي لعبد الله بن عون- سُبُع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار»[٣]، ويحكي إبراهيم النخعي حالهم في المحافظة على حزبهم من القرآن وقضائه إذا لم يتيسر لهم أداؤه في وقته فيقول: «كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى، قال: وربما زاد أحدهم»[٤].

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٩٣.
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٩٣.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٧٠.
(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٩٥.

المبحث الرابع
عنايتهم بترتيل القرآن وتجويده وتحسين الصوت به

المطلب الأول: فضل ترتيل القرآن وبيان المراد به

جاء الأمر بترتيل القرآن الكريم والحث على تحسين الصوت حال تلاوته والترغيب في ذلك والثناء على المعتنين به القائمين بتحقيق معانيه وصفاته، وقد أبان السلف هذه المعاني وحققوها في تلاوتهم وامتثلوها في قراءتهم، ودعوا الناس إلى تطبيقها ومراعاتها، وحذروا من مخالفتها والإعراض عن هدي النبي ﷺ وما أثر عنه في ذلك.

ففي الأمر بالترتيل قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ [1] وفي فضل الترتيل والترغيب فيه والثناء على محققيه والقائمين به ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» [2]، قال ابن عباس مبيناً معنى الترتيل في الآية السابقة: «بينه تبييناً» [3]، وروي نحوه عن الحسن وقتادة، [4] وقال مجاهد: «بعضه على إثر بعض، على تؤدة»، وقال أيضاً: «ترسل فيه ترسلاً» [5]، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [6] قال مجاهد: «على تؤدة» [7] وقال سعيد بن جبير الأسدي مولاهم «فسره تفسيراً» [8].

---

(١) سورة المزمل، من الآية (٤).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٩٢ واللفظ له، وأبو داود في سننه -كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/ ٧٣ برقم ١٤٦٤، والترمذي في جامعه - كتاب فضائل القرآن - باب ١٨ ٥/ ١٧٧/ برقم ٢٩١٤ وقال «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٣٤٩ برقم ٨١٢٢.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٨٠، وانظر: الدر المنثور ٨/ ٣١٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٨٠، الدر المنثور ٨/ ٣١٤.

(٥) رواهما الطبري في تفسيره ٢٩/ ٨٠، وانظر الدر المنثور ٨/ ٣١٤.

(٦) سورة الإسراء، من الآية ١٠٦.

(٧) رواه الطبري في تفسيره ١٥/ ١١٩، وانظر: الدر المنثور ٥/ ٣٤٦.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٣١٤، وعزاه لعبد بن حميد عنه.

فقد دلت هذه الأقوال على أن المراد بالترتيل التمهل والتؤدة حال التلاوة ، والترسل بإبانة الحروف وإعطائها حقها، فلا يهذه هذاً ولا يسرده سرداً ، ولا يستعجل في قراءته، وهكذا كان ترتيله ﷺ، فقد نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها: «**قراءة مفسرة، حرفاً حرفاً**»(١) ووصفت عائشة رضي الله عنها ترتيله فقالت: «**لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها، لا كسردكم هذا**»،(٢) وفي حديث حفصة رضي الله عنها «**أن النبي ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها**»،(٣) وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «**صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بأية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ**»الحديث.(٤)

ومن العناية بترتيل القرآن تجويده وإتقانه وتكميله ، قال العلماء: التجويد في الاصطلاح: علم يُعرف به إعطاء كل حرف حقه مخرجاً وصفةً، والغاية منه: إتقان قراءة القران، بالنطق بحروف مكتملة الأحكام والصفات، محققة المخارج، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تعسف ولا تكلف ، وهو زينة للتلاوة وجمال لها ، وأداء لها على الطريقة النبوية واللغة العربية الفصحى.(٥)

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٧٤، وأحمد في المسند ٦/ ٢٩٤، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/ ٧٣-٧٤ برقم ١٤٦٦، والترمذي في جامعه - كتاب فضائل القرآن - ٥/ ١٨٢ برقم ٢٩٢٣، وقال:«هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٥، وابن عاشور في المحرر الوجيز ٢٩/ ٢٦٠.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ٦/ ١٣ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٦/ ٦١-٦٢ .

(٥) ينظر: النشر ١/ ٢١٠-٢١٢، فن التجويد ٧ .

وقد جاء الحث على تجويد التلاوة وإتقان القراءة فيما روي عن بعض السلف، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾[١] «الترتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف»[٢].

وكانوا يصححون قراءة من يخل بأحكام التجويد ويوجهونه إلى مراعاتها، فعن عبدالله بن مسعود أنه كان يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾،[٣] مرسلة، فقال ابن مسعود: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال:كيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فمدها»[٤].

ومن العناية بترتيل القرآن الكريم تحسين الصوت وتجميله حال تلاوته، ويدخل في ذلك التغني به وتحزينه والتخشع به، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**» رواه البخاري ومسلم[٥]، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد أذناً إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته**» رواه أحمد وابن ماجة[٦]، قال الحافظ ابن كثير: «ومعناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة

---

(١) سورة المزمل، من الآية ٤ .

(٢) ينظر: النشر ١/ ٢٠٩ .

(٣) سورة التوبة، من الآية ٦٠ .

(٤) ينظر: الدر المنثور ٤/ ٢٢١ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب من لم يتغن بالقران ٩/ ٦٨ برقم ٥٠٢٤ ، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٦/ ٧٩ واللفظ له .

(٦) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٠، وابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٤٣ برقم ١٣٣٤ ، قال البوصيري في الزوائد ١/ ٢٤١ «إسناده حسن»، وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ٧٣:«سنده جيد».

نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خَلْقهم وتمام الخشية ، وذلك هو الغاية من ذلك ، وهو سبحانه يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات»،[١] ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾الآية[٢]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دل عليه هذا الحديث العظيم».[٣]

وفي المراد بقوله: «يتغنى بالقرآن» أقوال:

أحدها: تحسين الصوت به ، حكاه النووي عن أكثر العلماء ورجحه.[٤]

الثاني: الاستغناء به عن غيره.

الثالث: القراءة بحزن، قاله محمد بن إدريس الشافعي.

الرابع: التشاغل به عن غيره ، تقول العرب: تغنى بالمكان أقام به .

الخامس: المراد التلذذ به والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، حكاه أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري[٥]، وقد جمع الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بين هذه الأقوال وغيرها جمعاً حسناً حيث قال: «والحاصل: أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة، وهو أن يحسن به صوته ، جاهراً به، مترنماً

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً – كتاب التوحيد – باب ﴿**وكان الله سميعاً بصيراً**﴾ ١٣/ ٣٧٢ ، وأحمد في المسند ٦/ ٤٦، وابن ماجة في سننه – أبواب المقدمة – باب فيما أنكرت الجهمية ١/ ٣٦ برقم ١٧٦ ، وهو جزء من حديث المجادلة ، وفيما سبق «الحمد لله» بدل «سبحان الله» .

(٢) سورة يونس ، من الآية ٦١ .

(٣) فضائل القرآن ٧٣ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٧٩ .

(٥) ينظر: فتح الباري ٩/ ٧٠ .

على طريق التحزن، مستغنياً به عن غيره من الأخبار ، طالباً به غنى النفس، راجياً به غنى اليد»[1].

وفي الأمر بتزيين التلاوة بتحسين الصوت وتجميله قال ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»رواه أبو داود والنسائي وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه[2]، قال محمد عبدالرؤف المناوي «أي: الهجوا بقراءته وأشغلوا أصواتكم به ، واتخذوه شعاراً وزينةً لأصواتكم. ، وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه وتدبره والإصغاء إليه» [3].

وبحسن الصوت حال التلاوة تعرف مقامات الناس ويتميز القراء عن غيرهم فينزلون منازلهم من الإكرام والتقدير ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»رواه البخاري ومسلم[4].

المطلب الثاني: عنايته ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بترتيل القرآن

كانت عناية النبي ﷺ بالترتيل وتحسين الصوت حال تلاوة القرآن عظيمة، يجتهد في ذلك دون تكلف ولا تعسف ، فكان أحسن الناس صوتاً وأجملهم تلاوة ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**سمعت رسول الله**

---

(١) فتح الباري ٩/ ٧٢.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٢٨٣ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٦ ، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/ ٧٤ برقم ١٤٦٨، والنسائي في سننه - كتاب = الافتتاح - باب تزيين القرآن بالصوت ٢/ ١٧٩، وابن ماجة في سننه -باب ما جاء في قيام شهر رمضان- باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٢٤ برقم ١٣٤٢، وصححه الألباني

(٣) ينظر: فيض القدير ٤/ ٦٨ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر ٧/ ٤٨٥ برقم ٤٢٣٢ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل الأشعريين ١٦/ ٦١.

ﷺ يقرأ في العشاء بـ ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة» رواه البخاري ومسلم[١]، ورويا أيضاً قصة جبير بن مطعم رضي الله عنه حين قدم على النبي ﷺ في فداء الأسارى بعد بدر وهو يقرأ في الطور، فلما قرأ : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ قال: جبير «كاد قلبي أن يطير» وفي رواية: «وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[٢] ، وما كان ذاك إلا لما أراد الله هدايته للإسلام ، ثم ما كان لحسن صوته ﷺ من تأثير في قلبه، وكان جبير مشركاً على دين قومه.

ومن عنايته ﷺ بترتيل القرآن وتحسين الصوت والتغني به حال التلاوة ثناؤه على من عرف ذلك منه من الصحابة والإشادة بهم ، لعنايتهم به وجدهم في تحقيقه ومواظبتهم عليه، منهم: أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه ، ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فسمع قراءة رجل فقال:من هذا؟ قيل: عبد الله بن قيس، فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود»[٤]، لذا فقد بعثه النبي ﷺ ومعاذاً إلى اليمن لأمور، منها: أن يعلما الناس القرآن، وكان رضي الله عنه إذا جلس مع عمر وأصحابه ، طلب منه عمر أن يتلو عليهم القرآن لعلمه مبلغه العظيم ومرتبته العالية وسبقه غيره في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب القراءة في العشاء ٢/ ٢٥١ برقم ٧٦٩ ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب القراءة في العشاء ٤/ ١٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب تفسير سورة الطور ٨/ ٦٠٣ برقم ٤٨٥٤ ، وفي كتاب المغازي - باب١٢،٧/ ٣٢٣ برقم ٤٠٢٣ واللفظ له، ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب القراءة في المغرب ٤/ ١٨٠ مختصراً.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٥٠، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص٧٨، وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٧.

ترتيل القرآن وحسن الصوت بتلاوته، يقول له: «ذكرنا يا أبا موسى،فيقرأ عنده»[١] ولما قدم رضي الله عنه دمشق على معاوية رضي الله عنه ونزل في بعض دورها ، خرج معاوية من الليل يستمع لقراءته[٢]، يقول أبو عثمان عبدالرحمن بن مل الهندي: «ما سمعت مزماراً ولا طنبوراً[٣] ولا صنجاً[٤] أحسن من صوت أبي موسى الأشعري، إن كان ليصلي بنا، فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته»، وفي رواية «كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت إني لم أسمع صوت صَنْج قط ولا صوت بَرْبط [٥] ولا شيئاً قط أحسن من صوته»[٦]، وقال العجلي: «لم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه» [٧].

ومن قراء الصحابة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال مسروق: ذكر عبدالله بن عمرو عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما فقال: «**لا أزال أحبه ، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب**»[٨].

فقد كان من علماء الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن ،تلاوة وحفظاً ، تفسيراً وتعليماً ، وهو من أوائل الذين تلقوا القرآن عن النبي ﷺ فسعدوا به ونعموا ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**خرجت أنا وأبو بكر مع**

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٩ ، وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٩ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٨.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٢

(٣) الطنبور: آلة عود ، فارسي معرب ، القاموس « طنر» ٢/ ٧٩.

(٤) الصّنْج: شيء يتخذ من صفر ،يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، معرب ، ينظر القاموس «صنج» ١/ ١٩٧

(٥) بَرْبط: آلة عود ، معرب ،القاموس «برط» ٢/ ٣٥٠ .

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٩ ، وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٨ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٨.

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٣

(٨) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٦ برقم ٤٩٩٩ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله ابن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٧-١٨

رسول الله ﷺ ، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله يستمع قراءته ، فلما كدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له:سل تعطه سل تعطه» رواه الإمام أحمد(١).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط ، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر، وقد نفرا من قريش ، فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت: إني مؤتمن ولست ساقيكما، فقال النبي ﷺ: هل عندك من جذعة لم ينـز عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا فَحَفّل(٢) الضرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها، فشرب ثم سقا أبا بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: أقلص(٣) فقلص، قال: فأتيته بعد ذلك فقلت علمني من هذا القول ، قال: إنك غلام معلَّم، فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد» رواه الإمام أحمد (٤)، وروى البخاري ومسلم عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبدالله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم»(٥)، ولا أدل على إمامته في القراءة وحسن صوته بالتلاوة طلب النبي ﷺ منه القراءة عليه ، وتلك شهادة عالية وتزكية رفيعة

---

(١) رواه في المسند ١/ ٤٤٥، ٤٥٤، والحاكم في المستدرك بنحوه ٣/ ٣١٧ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) حَفَّل: كثر لبنه واجتمع ، ينظر: القاموس «حفل» ٣/ ٣٥٨ .

(٣) قلص: ارتفع لبنه ، ينظر: القاموس «قلص» ٢/ ٣١٤ .

(٤) رواه في المسند ١/ ٣٧٩ ، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٥ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٦ برقم ٥٠٠٠ واللفظ له ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٥ .

له، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي القرآن ، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال: إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء،حتى إذا جئت إلى هذه الآية:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [(١)] **قال: حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان**» رواه البخاري ومسلم[(٢)].

وقد شهد الصحابة والتابعون له بذلك وأثنوا عليه به ، سئل علي بن أبي طالب عن ابن مسعود رضي الله عنهما فقال: «قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به علماً»[(٣)] ، وقال مسروق بن الأجدع الهمداني: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ[(٤)] يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبدالله من ذلك الإخاذ»[(٥)]، وما كان له ذلك إلا بتوفيق من الله عز وجل ومنة، ثم لقربه الشديد وحضوره الملازم للنبي ﷺ، فقد كان صاحب وساده وسواكه ونعليه وطهوره ، يقول أبو موسى الأشعري «**قدمت أنا وأخي من اليمن، فكنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي ﷺ من كثرة دخولهم ولزومهم له**»[(٦)].

---

(١) الآية رقم (٤١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب البكاء عند قراءة القرآن ٩/ ٩٨ برقم ٥٠٥٥ ، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل استماع القرآن ٦/ ٨٧.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك٣/ ٣١٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية١/ ١٢٩ ، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٠ .

(٤) الإخاذ: غدير الماء ، ينظر: القاموس «أخذ» ١/ ٣٥٠ .

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٤٣ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ٧/ ١٠٢ برقم ٣٧٦٣، ومسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٤ واللفظ له .

ولذلك كان أبو موسى يقول: «لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهرنا، من أصحاب محمد ﷺ»[(١)] يعني: ابن مسعود، وعلل ذلك في رواية أخرى بقوله: «إن كان ليؤذن له إذا حجبنا ويشهد إذا غبنا»[(٢)]، وكان عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه مع ما سبق حريصاً على تعلم القرآن وطلب معانيه والعلم بأحكامه مجتهداً في ذلك، يقول رضي الله تعالى عنه «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[(٣)].

ومن قراء الصحابة الذين كانت لهم عناية بتلاوة القرآن وترتيله وحفظه مع العلم بمعانيه وأحكامه أبو المنذر أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه، كان سيد القراء، أثنى عليه النبي ﷺ حيث عده من القراء الأربعة الذين تؤخذ عنهم القراءة كما سبق، وبقوله أيضاً: «**وأقرؤهم لكتاب الله أبي ابن كعب**»[(٤)] ولا أدل على جودة قراءته وحسن تلاوته ومبلغ حفظه من قراءة النبي ﷺ عليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ قال:**

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٩ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٧ برقم ٥٠٠٢ واللفظ له، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٧ .

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في جامعه - كتاب المناقب - باب مناقب معاذ بن جبل وأبي وغيرهما ٥/ ٦٦٥ برقم ٣٧٩١ ، وقال «هذا حديث حسن صحيح» ، وابن ماجة في سننه - صحيح سنن ابن ماجة - أبواب المقدمة-باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١/ ٣١ برقم ١٢٥ وصححه الألباني .

لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، فقال: وسماني؟ قال: نعم، قال: فبكى» رواه الشيخان[١]، وفي رواية قيل لأبي «وفرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٢][٣]، قال الحافظ ابن حجر: «بكى أبي إما فرحاً وسروراً بذلك، وإما خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة. قال القرطبي: تعجب أبي من ذلك ، لأن تسمية الله ونصه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم، وقال أبو عبيد: المراد بالعرض على أبي ليتعلم أبي منه القراءة ويتثبت فيها ، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئاً بذلك العرض»[٤].

وقال الإمام النووي : «ومنها: المنقبة الشريفة لأبي ، بقراءة النبي ﷺ عليه ، ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا، ومنها: منقبة أخرى له بذكر الله تعالى له ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة»[٥] ، وفي موقف آخر أثنى النبي ﷺ على علم أبي رضي الله عنه بالقرآن ومعرفة ما خص الله عز وجل بالفضل بعض آياته ، ففي صحيح مسلم عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت:** الله ورسوله أعلم،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه ٧/ ١٢٧ ، برقم ٣٨٠٩ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي ابن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم ١٦/ ٢٠.

(٢) سورة يونس ، من الآية (٥٨) .

(٣) رواه أحمد في المسند ٥/ ١٢٣ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥١ .

(٤) فتح الباري ٧/ ١٢٧ ، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢١٥ مختصراً .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٨٦

فأعادها فقلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ **قال: «فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر»**(١)

ومن أثنى عليهم الرسول ﷺ لحسن صوته بتلاوة القرآن واستمع لقراءته وهو من الأئمة القراء المعدودين سالم بن معقل مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما، كما سبق في حديث: «**خذوا القرآن من أربعة ، من عبدالله بن مسعود وسالم..**» الحديث، وعن عائشة رضي الله عنهما قالت : «**أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال: أين كنت ؟ قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك ، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي وقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**»(٢).

المطلب الثالث: عناية السلف بترتيل القرآن:

سار على هدي النبي ﷺ في هذا وغيره الصحابة والتابعون لهم بإحسان رحم الله الجميع،حيث كانت لهم العناية البالغة بترتيل القران وتجويده وتحسين الصوت بتلاوته ، كما سبق ممن أثنى عليهم رسول الله ﷺ وغيرهم، كما كانوا يعرفون لمن وفقهم الله لذلك قدرهم وينزلونهم المنازل العالية والرتب الرفيعة من الاحترام والتقدير وحب سماع صوتهم بتلاوة القرآن ، كصنيع عمر رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، حين قال له:- وكان مع أصحابه - «ذكرنا: يا أبا موسى، فيقرأ عنده»، وكان عمر يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٦/ ٩٣.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٤٣ برقم ١٣٣٢ وقال البوصيري في الزوائد «إسناده صحيح، رجاله ثقات» ١/ ٢٤٠ ، وقال ابن كثير في فضائل القرآن «إسناده جيد» ص ٧٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٢٣

يدي القوم[1]، وعن عقبة ابن عامر– وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن – أنَ عمر بن الخطاب قال له: "ياعقبة اعرض علي سورة ، فعرض عليه ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾[2].

ومن الأئمة القراء الذين وهبهم الله حسن الصوت مع عنايتهم بترتيل القرآن علقمة بن قيس النخعي ، لازم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فأخذ عنه القرآن، وكان ابن مسعود يجله ويقدره لأجل ذلك ، يقول علقمة: «كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن ، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدنا فداك أبي وأمي»[3]، قال الإمام النووي: «اعلم أن جماعات من السلف كان يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، فقد صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ علي القران، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى إذا جئت إلى هذه الآية:** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ **قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» رواه البخاري ومسلم. والآثار في هذا كثيرة ومعروفة»**[4].

وممن اشتهر بالصوت الحسن وترتيل القرآن الإمام عاصم بن بهدلة بن أبي النجود أحد القراء السبعة ، فقد كثر عليه الثناء بذلك ، قال مسلمة بن عاصم «كان عاصم ذا أدب ونسك وفصاحة وصوت حسن»[5]، وقال أبو

---

(١) بنظر: فتح الباري ٩|٩٢.
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٧٩ .
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٩٩.
(٤) ينظر التبيان ٩٠ –٩١ .
(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥|٢٥٩ ،معرفة القراء الكبار ص٥٣ .

إسحاق السبيعي: «ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النجود».(١)

ومن اجتهاد السلف وحرصهم على تحسين الصوت حال التلاوة وترتيل القرآن ما جاء في رواية أبي داود حديث: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»: «أنه قيل لابن أبي مليكة - وهو عبدالله بن عبيد الله أحد رجال إسناد الحديث- ياأبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع»(٢)، والأمثلة على ما سبق من سيرهم وأحوالهم كثيرة .

إن حسن الصوت نعمة من الله سبحانه ، ولهذا عظمت الوصية لمن وهبت له أن يتقي الله في ذلك وأن يقوم بحقها ويرعاها ويحافظ عليها ويخلص لله فيها، يقول الإمام الآجري: «ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصه بخير عظيم ، فليعرف قدر ما خصه الله به ، وليقرأ لله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يستمع منه ليحظى به عند السامعين، رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه من أبناء الدنيا...،فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خفت أن يكون حسن صوته فتنة عليه ، وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله - عز وجل - في السر والعلانية، وكان مراده أن يُستمع منه القرآن لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم ، فيرغبوا فيما رغبهم لله عز وجل وينتهوا عما نهاهم ، فمن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته وانتفع به الناس».(٣)

وفي كلام الآجري السابق إرشاد للقارئ أن يتحزّن عند تلاوته ويخشع قلبه ويتفكر في آياته ويتأمل فيها، فيخشى الله - عز وجل - وتظهر آثار تلك

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥|٢٥٧ .

(٢) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢|٧٥ برقم ١٤٧١ .

(٣) أخلاق حملة القرآن ٧٩.

الخشية عليه ، تأثراً وبكاءً ، ذلاً واستكانة ، امتثالاً لأوامره وبعداً عن زواجره ، وتحاكماً إليه ، وقد أبان الآجري رحمه الله تعالى هذا أيضاً بقوله: «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزّن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه، ويتفكر في الوعد والوعيد ليستجلب بذلك الحزن، ألم يسمع إلى ما نعت الله - عز وجل - من هو بهذه الصفة، وأخبر بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [1] الآية ، ثم ذم أقواماً استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم ، فقال عز وجل: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [2]، يعني: لاهين» [3].

المطلب الرابع: القراءة بالترتيل والتدبر وآثارها

لا بد في قراءة القرآن من التدبر والتفكر كيما يحصل له أعلى درجات الانتفاع بالقرآن الكريم والتأثر به، فقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن ونهى عن الإعراض عنه وإغفال تفهم معانيه.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [4]، وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [5]، فقراءة التدبر والتأمل هي الترتيل المطلوب في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ أي: اقرأه على تمهل وتؤدة،فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره ، وهكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ كما سبق ،ففي حديث

(١) سورة الزمر ، من الآية ٢٣ .
(٢) سورة النجم ، الآيات ٥٩ - ٦١ .
(٣) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٨١، وانظر: المفردات ٢٤١.
(٤) سورة محمد ، الآية ٢٤ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

حفصة رضي الله عنها قالت: «**كان يقرأ السورة حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها**»، ولما سئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قراءته ﷺ قالت: «**كان يقطع قراءته آية آية**» وغير ذلك.

فالترتيل يعني: التمهل والتأمل والتدبر، وذلك معين على الفهم والعمل، والمعرفة والامتثال، مع الأنس والراحة والطمأنينة التي يجدها القارئ أو السامع لكلام الله عز وجل، وقد يكون القارئ ممن تشق عليه القراءة فيثقل بها لسانه لعجمته أو لعدم معرفته بقواعد اللغة، ومع ذلك فهو حاضر القلب مرهف الحس مجتهد في إتقان التلاوة وتحسينها والتدبر فيها، يجني ثمار تلاوته في الدنيا مع ما أعد الله له من الثواب الجزيل في الآخرة، بخلاف قارئ آخر قد يكون طلق اللسان حسن الصوت لكنه غافل الجنان معرض عن هدايات القرآن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن أدلة فضل التحزن والخشوع حال التلاوة ما رواه جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**» رواه ابن ماجه[١].

ومن عناية الصحابة بهذا الأمر وتوجيه التابعين له وتذكيرهم به، ما رواه عبدالرحمن بن السائب بن أبي نهيك المخزومي قال: «قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد كف بصره، فأتيته مسلّماً وانتسبني فانتسبت له، فقال: مرحباً يا ابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا**»[٢].

---

(١) رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن ٧٩، وابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٢٤ برقم ١١٠١، وصححه الألباني بمجموع طرقه.

(٢) رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن ٨٠، وابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٤٢-٢٤٣ برقم ١٣٣١ وهو حديث ضعيف كما في مصباح الزجاجة للبوصيري ١/ ٢٤٠، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن عناية السلف به والتزامه والوصية به والثناء على المعتنين به ما رواه طلق بن حبيب العنزي قال: «أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل»[١] ، وكان رحمه الله تعالى ممن امتثل هذا واعتنى به ، فجمع بين ذلك وبين الوصية به والدعوة إليه ، يقول طاووس بن كيسان اليماني: «ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه ، وكان ممن يخشى الله تعالى»[٢] وكان طاووس يقول: «أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله تعالى»[٣].

ولا شك أن حسن الصوت بتلاوة القرآن والعناية بترتيله له تأثيره في النفوس، فتقبل عليه ولا تملّ سماعه، كما أنه معين على التأثر والبكاء، ومورث للخشية ورقة القلب، ومعين على التأمل والتفكر في آيات القرآن والنظر في معانيها والوقوف على هداياتها ودلالاتها، ليكون العمل والتطبيق والامتثال لما تضمنته من أحكام وآداب ونحو ذلك.

قال الحافظ بن حجر: «ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لم يترنم، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع»، ثم قال: «والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها، ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء»[٤].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٦٣ .

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠١ .

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٨٠ .

(٤) فتح الباري ٩/ ٧٢ .

ومن أمثلة تأثير حسن صوت قارئ القرآن على الآخرين ، وإقبال قلوبهم عليه وإنصاتهم له ، ما كان لجبير بن مطعم رضي الله عنه حين استمع قراءة النبي ﷺ - وكان أحسن الناس صوتاً - وهو يتلو سورة الطور ، حتى بلغ قوله: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ الآيات قال جبير: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».

وجـاء في سيرة الإمام المقرئ يحي بن وثاب الكوفي أنه كان حسن الصوت بالقـرآن معتنـياً بإتقانه وترتيله ، فلا يسمعه أحد إلا أنصت لقراءته وأقبل على تلاوتـه ، يقـول الأعمـش: «كـان يحي بن وثاب من أحسن الناس قراءة ، ربما اشـتهيت أن أقـبل رأسـه مـن حسـن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة ، كأن ليس في المسجد أحد »[١] .

المطلب الخامس: تحذير السلف من الابتداع في القراءة

وفي مقـابل الحث على ترتيل القرآن وتحسين الصوت حال تلاوته والعناية بذلـك والوصية به والثناء على من اعتنى بهذا الأمر وحققه، فقد حذر السلف مـن قـراءة القـرآن بالألحـان المطـربة والخـروج بالقـراءة إلى الطـرق المبـتدعة والأصـوات المـنغمة المحدثـة، والتكلف في إخراج الحروف ونحو ذلك، فالقرآن يـنزه عـن هـذا كله،قال الحافظ ابن كثير: «والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسـين بالصـوت الباعـث عـلى تدبـر القـرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقـياد للطاعـة ، فأمـا الأصـوات بالـنغمات المحدثـة المركـبة عـلى الأوزان والأوضـاع الملهـية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا، ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب»[٢] .

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨١، معرفة القراء الكبار ص ٣٤ .

(٢) فضائل القرآن ص ٧٩ .

وقال الماوردي: «القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخل به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام، يُفَسّق به القارئ ، ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج ، والله تعالى يقول: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[١]...»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنه سمع رجلاً يقرأ بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه»[٣]، ولما قيل لورقاء بن إياس: «كان سعيد بن جبير يصنع كما يصنع هؤلاء الأئمة اليوم ، يطربون ويرددون؟ قال: معاذ الله، إلا أنه كان إذا مر على مثل هذه الآية:﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[٤] مدها شيئاً» [٥]، وقال رجل لعبد الله بن المبارك المروزي: «إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال له:إنا أدركنا القراء وهم يُؤتون تسمع قراءتهم ، وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون» [٦]، وروي عن سعيد بن المسيب «أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم بالناس فطرب في قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله ، إن الأئمة لا تقرأ هكذا، فترك عمر بعدُ التطريب»، وسئل مالك عن الألحان في الصلاة، فقال: «لا يعجبني، إنما هو غناء يتمتعون به، أو قال: يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم»[٧]، قال محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم رحمه الله تعالى: «وكل من له علم بأحوال السلف

(١) سورة الزمر ، من الآية (٢٨) .
(٢) ينظر: التبيان ٨٩ ، وانظر: النشر ١/ ٢١٣ .
(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٨١ ، وابن كثير في فضائل القرآن ص٨٠ .
(٤) سورة غافر الآية (٧١).
(٥) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٢٧٣ .
(٦) ينظر: حلية الأولياء ٨/ ١٦٩ .
(٧) ينظر لهما: التذكار ١٦١.

يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة ، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها» [(١)] وقال أيضاً - يحكي كراهة أئمة السلف هذا التنطع والتكلف-: «والمقصود أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف، ومن تأمل هدي النبي ﷺ وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته» [(٢)].

وقد استمرت هذه العدوى في العصور المتأخرة، حتى عصرنا هذا، وقد حذر منها العلماء والفضلاء، ونهوا عن حضور مجالسها أو استماعها والاحتفاء بها بعد أن كشفوا عوارها وأبانوا حقيقتها، يقول مصطفى الرافعي: «ومما ابتدع في القراءة والأداء هذا التلحين الذي بقي إلى اليوم، يتناقله المفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم، ويقرؤون به على ما يشبه الإيقاع، وهو الغناء التقي، ومن أنواعه عندهم في أقسام النغم (الترعيد) وهو: أن يرعد القارئ صوته، كأنه يرعد من البرد أو الألم، (والترقيص) وهو: أن يروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنه في عدوٍ أو هرولة، (والتطريب) وهو: أن يترنم بالقرآن ويتنغم به، فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد إن أصاب موضعه، (والترديد) وهو: رد الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واحد على وجه من تلك الوجوه.

وإنما كانت القراءة (تحقيقاً) - وهو: إعطاء كل حرف حقه على مقتضى ما قرره العلماء مع ترتيل وتؤدة-، أو (حدراً) - وهو: إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة شروط الأداء الصحيحة - أو(تدويراً) - وهو: التوسط بين التحقيق والحدر- » [(٣)].

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤٩٣ .

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٦٢.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٥٩، وانظر: بدع القراء القديمة والمعاصرة ٧-١٣.

المبحث الخامس:
عنايتهم بتعلم القرآن وتعليمه

المطلب الأول: الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه وبيان أهميته

إن تعلم القرآن الكريم والقيام بتعليمه وبيان معانيه وأحكامه للناس من أفضل الأعمال وأجل القرب، يحظى متعلمه ومعلمه بالخير والفضل في الدنيا والآخرة، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وفي رواية أخرى: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخاري.(١)

كما حث الرسول ﷺ صحابته - رضي الله عنهم - والخطاب للأمة بعدهم على تعلم القرآن الكريم، مرغباً في ذلك بأجمل أسلوب وأحسن مثال، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «**خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان(٢) أو إلى العقيق(٣)، فيأتي منه بناقتين كوماوين(٤) في غير إثم ولا قطع رحم، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحكم إلى المسجد فَيَعْلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**» رواه مسلم.(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٩ / ٧٤ رقم ٥٠٢٧- ٥٠٢٨.

(٢) بطحان: واد في المدينة، ينظر: معجم البلدان ١/ ٤٤٦.

(٣) العقيق: واد في المدينة فيه نخل، ينظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٩.

(٤) الكوماوين: مفردها كَوْما، وهي الناقة العظيمة السنام، ينظر: القاموس «كام» ٤/ ١٧٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ٦/ ٨٩.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «والغرض أنه ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾[1]، وكما قال تعالى:﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾[2]، في أصح قولي المفسرين في هذا، هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً، فجمعوا بين التكذيب والصد، كما قال تعالى:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾.[3]

فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه، وأن يسعى في تكميل غيره، كما قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[4].

وتعليم القرآن الكريم باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل وأعمها نفعاً، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[5]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع»[6]، والمشتغلون بتعلم القرآن وتعليمه من دعاة الخير، وأعظم الخير نشر العلم النافع، وأفضل العلوم وأزكاها العلم بكتاب الله عز وجل، تلاوة لآياته ومعرفة بأحكامها ووقوفاً على هدايتها ودلالاتها، وهم بذلك مثابون

---

(١) سورة النحل ، من الآية ٨٨.

(٢) سورة الأنعام ، من الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنعام ،من الآية ١٥٧.

(٤) فضائل القرآن ٨٤.

(٥) سورة فصلت الآية ٣٣.

(٦) فتح الباري ٩/ ٧٦.

مأجورون بإذن الله عز وجل، لأن نفع تعليم القرآن من النفع المتعدي الدائم الذي يثاب عليه صاحبه حتى بعد مماته، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**من علم علماً فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل**» رواه ابن ماجة[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**» رواه مسلم[٢].

ومما يدل على أهمية تعلم القرآن الكريم وتعليمه وفضل من اعتنى بذلك أن الله عز وجل أخذ العهد والميثاق على كل أمة أنزل عليها كتاباً أن تتعلمه ولا تكتم منه شيئاً، أو تقصر في نشره وتبليغه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣]، ولأن هذه الأمة خير الأمم، وكتابها القرآن أفضل الكتب كان واجبها أعظم من غيرها في تعليمه وتبليغه وبيان أحكامه وهداياته للناس، كيما تحصل السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

---

(١) رواه بن ماجة في سننه (صحيح سنن ابن ماجة) المقدمة - باب ثواب معلم الناس الخير ١/ ٤٦، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب العلم - باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ١٦/ ٢٢٧.

(٣) سورة آل عمران، من الآية ١٨٧.

(٤) سورة المائدة، الآيتان ١٥-١٦.

وقد توعد جل وعلا الذين يكتمون القرآن فلا يعلمونه ولا يبينون أحكامه ولا يُعرّفون توجيهاته للأمة بالطرد والإبعاد من رحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

ومعلم القرآن ومتعلمه المشتغلون بذلك الباذلون جهدهم من أجله من خيار الأمة، بل هم خيار من خيار، يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٢]، وما ذاك إلا لأن تعلم القرآن وتعليمه هو الأساس الذي يقوم عليه الدين، وبه تعرف الشرائع والأحكام، وبنوره تستضيء الأمة وتسير على طريقه وتتربى على نهجه، فهو جماع المعروف كله.

المطلب الثاني: عناية النبي ﷺ بتعليم القرآن

حرص نبينا ﷺ على تبليغ هذا الدين ونشره بين العالمين، وبذل الجهود وصرف الأوقات من أجله، امتثالاً لأمر الله عز وجل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٣] الآية، وما أنزل إليه هو القرآن الكريم، وأوتي مثله معه وهي السنة المطهرة.

ولعنايته ﷺ بتعليم الصحابة القرآن الكريم ورعايتهم صور متعددة وأمثلة متنوعة، فمن ذلك:

أولاً: الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه والحث على ذلك، وتعظيمه في النفوس والتشويق إليه بأحسن أسلوب وأجمل مثال، كما في حديثي عثمان

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٥٩-١٦٠.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١١٠.

(٣) سورة المائدة، من الآية ٦٧.

وعقبة بن عامر السابقين ، كما رغب أيضاً في الاجتماع والتحلق لتلاوة القرآن ومدارسته، ووعد من احتسب ذلك الأجور العظيمة والرتب الرفيعة والذكر الحسن ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**» رواه مسلم [(١)]، قال الإمام النووي: «وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه ، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى» [(٢)].

ولا شك أن الاجتماع في حلق القرآن معين على إتقان تلاوته وتصويب الخطأ في قراءته ، وشاحذ للهمم على حفظه والمسابقة في ذلك.

ثانياً: حرص النبي ﷺ على إقراء الصحابة وتعليمهم قراءة القرآن وحفظه، واحتسب ذلك في عمله وجهده ووقته ، كان يقرئ الواحد منهم ويخصه بمزيد رعاية وعناية ، وقد يقرأ على أحدهم وبالعكس من باب الإتقان والضبط، وقد حدثوا بهذا كله رضي الله عنهم ، ومن ذلك ما في الصحيحين من حديث عمر ﷺ مع هشام بن حكيم رضي الله عنه في نزول القرآن على سبعة أحرف ، وفيه: « ... **فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟** قال: **أقرأنيها رسول الله ﷺ** ، **فقال: كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها**

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/ ٢١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ٢١ -٢٢.

على غير ما قرأت» الحديث [١] ، وفيهما أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ **بضعاً وسبعين سورة**» [٢] ، وعند الإمام أحمد: «**فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد**» [٣] ، وعرض على النبي ﷺ قراءته كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: « **اقرأ علي القرآن ، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء ، حتى إذا جئت هذه الآية:** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [٤] **قال: حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان**» [٥] .

كما قرأ ﷺ على أبي بن كعب من أجل التثبت والإتقان والضبط له ﷺ ، بأمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ ، عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك:** ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ **فقال: وسماني ؟ قال: نعم، قال فبكى**» رواه البخاري ومسلم [٦] ، قال أبو عبيد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن- باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٩/ ٢٣ برقم ٤٩٩٢، ومسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ٦/ ٩٨ -٩٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ٩/ ٤٦ برقم ٥٠٠٠ ، واللفظ له ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/ ١٥.

(٣) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩.

(٤) الآية رقم: ٤١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن- باب البكاء عند قراءة القرآن ٩/ ٩٨ برقم ٥٠٥٥، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل استماع القرآن ٦/ ٨٧

(٦) رواه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب مناقب أبي بن كعب ٧/ ١٢٧ برقم ٣٨٠٩ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم ١٦/ ٢٠.

القاسم بن سلام: «المراد بالعرض على أبي ليتعلم أبي منه القراءة ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئاً بذلك العرض»[١] .

ومما يدل على تعلم الصحابة القراءة على النبي ﷺ وأخذهم إياها عنه تصويب قراءة من أخطأ حسب ما تلقوه عنه ﷺ ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه كان يقرئ رجلاً ، فقرأ الرجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾[٢] مرسلة ، فقال ابن مسعود: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ فمدها»[٣] .

ولا ريب أن قراءته ﷺ في صلاته إماماً بالناس تعليم لهم قراءة القرآن ، وهم مأمورون بالاستماع والإنصات له ، مع ما أعطاه الله ووهبه من حسن الصوت وجمال الترتيل والحزن والخشوع حال التلاوة ، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «**سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء بـ: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ . فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة**» رواه البخاري ومسلم[٤] .

ثالثاً: من عنايته ﷺ بتعليم القرآن أنه كان يوكل إقراء من أسلم حديثاً إلى من سبقه بحفظ القرآن وإتقان تلاوته ، ويتعاهدهم ﷺ بكل رعاية واهتمام ، وقد تكون هذه الإنابة لبعض شغله بمهام المسلمين وحفزاً لهمم القراء من الصحابة وبناءً للثقة والخير في نفوسهم، يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «كان

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٢٧، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢١٥ مختصراً.

(٢) سورة التوبة ، من الآية ٦٠.

(٣) ينظر: الدر المنثور ٤/ ٢٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الأذان- باب القراءة في صلاة العشاء ٢/ ٢٥١ برقم ٧٦٩، ومسلم في صحيحه -كتاب الصلاة- باب القراءة في العشاء ٤/ ١٨١.

رسول الله ﷺ يشغل ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن»[(١)].

رابعاً: كان ﷺ يبعث بعض الصحابة ويرسلهم دعاة خير وهدى، يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين ويرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأول ما يدعى إليه الناس توحيد الله عز وجل الدال عليه كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ ، ثم العلم بأحكام الشريعة حتى يعبد المسلم ربه على بصيرة ، فمن ذلك أنه ﷺ أرسل مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنهما إلى أهل المدينة قبل هجرته إليها ، يعلمان الناس القرآن ويدعونهم إلى توحيد الله عز وجل وطاعته[(٢)]، كما أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى مكة بعد الفتح لإقراء القرآن[(٣)].

وقد ذكر أهل العلم أن القيام بتعليم القرآن فرض كفاية، إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يوجد في المجتمع من يقوم بهذا الواجب إلا واحد أو قلة تعين عليهم، يقول الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووي: «تعليم المتعلمين -القرآن- فرض كفاية، فإن لم يكن يصلح له إلا واحد تعين عليه، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم، فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طلب من أحدهم وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم، لكن يكره له ذلك إن لم يكن له عذر»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٣٢٤.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى ٣/ ١١٧-١١٨.

(٣) ينظر: المستدرك ٣/ ٢٧٠، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٧.

(٤) التبيان ٣٣.

المطلب الثالث: أوجه عناية السلف بتعليم القرآن

حرص سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - ومن بعدهم ممن رغب في هذا الخير والفضل على تعلم القرآن وتعليمه، فاستثمروا أوقاتهم في ذلك وعمروا به مجالسهم وبذلوا جهودهم من أجله، وصور ذلك في سيرهم كثيرة ، فمن ذلك:

أولاً: أنهم جلسوا للناس يعلمونهم القرآن ويبينون لهم معانيه وأحكامه، وفرغوا أوقاتهم من أجله، فكان هذا العمل هو شغلهم مع تحملهم مسؤوليات كثيرة وقيامهم بأعمال أخرى يحتاجون إليها، فقد كان أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري يعلم الناس القرآن بمسجد البصرة مع كثرة مسؤولياته لأنه أمير البصرة، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «بعثني الأشعري إلى عمر ، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت: تركته يعلم الناس، فقال عمر: «إنه كيس ولا تسمعها إياه»[(١)].

وهذا أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي أحد الأئمة القراء الأعلام اشتغل معظم حياته بتعليم القرآن بعد أن تعلمه ممن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم، فقد بدأ يعلم الناس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أيام الحجاج، وكان مقدار الزمن الذي مكث فيه يعلم القرآن أربعين سنة، وكان يقول- وهو الراوي عن عثمان حديث: « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه - وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا**»[(٢)]، ومثله أيضاً الإمام المقرئ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني أحد القراء السبعة، فإنه أقرأ الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة، لأنه ممن طال عمره [(٣)].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح - كتاب فضائل القرآن - باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٩/ ٧٤ برقم ٥٠٢٧.

(٣) ينظر: معرفة القراء الكبار ٦٤.

ثانياً: من صور بذلهم الجهد في التعليم تكرار التلاوة وترديد الآية حتى تقرأ وتحفظ، قال إسحاق بن إبراهيم: «سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين».(١)

ثالثاً: من عناية السلف بتعليم القرآن الكريم توجيه الأئمة القراء منهم لتعليم الناس كتاب الله عز وجل وحثهم على ذلك، نصحاً للأمة ودعوة لها إلى الخير وبياناً لشرع الله لهم، وكان يتولى ذلك ويقوم عليه ولاة الأمر فيهم، أداء للأمانة وقياماً بحق الرعاية لهم، مع توجيههم وبيان أحوال الناس معهم ليأخذوا استعدادهم ويتهيؤوا لتعليمهم، قال محمد بن كعب القرظي: «جمع القرآن خمسة: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبيّ وأبو أيوب، فلما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني برجال يعلمونهم، فدعا عمر الخمسة فقال: إن إخوانكم قد استعانوني من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني -يرحمكم الله- بثلاثة منكم إن أحببتم، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير- لأبي أيوب- وأما هذا فسقيم -لأُبيّ- فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يَلْقن(٢) ، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين.

قال: فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة ابن الصامت، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين، فمات في

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٢، معرفة القراء الكبار ٧٣.

(٢) يَلْقن: يفهم ويحفظ، ينظر: القاموس «لقن» ٤/ ٢٦٨.

طاعون عَمَواس[١]، ثم صار عبادة بعد إلى فلسطين وبها مات، ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات».[٢]

رابعاً: من حرصهم على تعليم القرآن بحثهم عمن يريد ذلك حباً للخير ونفعاً للناس، ومن ذلك ما جاء في ترجمة عامر بن عبد قيس التميمي البصري، أنه كان يقول:«من أقرئ؟ فيأتيه ناس فيقرئهم القرآن، ثم يقوم فيصلي ثم يقرئ الناس إلى المغرب، ثم يصلي ما بين العشائين، ثم ينصرف إلى منزله».[٣]

وكانوا يعظمون مجالسهم التي يقرئون فيها القرآن، تكريماً لها ورفعة لقدر أهلها، وترغيباً لغيرهم فيها، قال الأعمش: «مر أعرابي بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يقرئ قوماً القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: يقتسمون ميراث محمد ﷺ».[٤]

خامساً: من صور حرصهم على تعلم القرآن الكريم وتعليمه أنهم جعلوا من شروط طلب العلم والالتحاق بدروس العلماء أن يحفظ الطالب القرآن الكريم، مما يتطلب ذلك منه مزيد عناية واهتمام بتعلم القرآن الكريم وحفظه، يحكي ذلك عنهم الإمام النووي بقوله: «كان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن»[٥]، قال محمد بن عبد الرؤوف المناوي: « لأنه أفضل العلوم وأمها وأهمها، ولهذا صرحوا بأن الإنسان يبدأ أولاً بحفظه، ثم

---

(١) عَمَواس: مدينة قرب بيت المقدس، ينظر: معجم البلدان ٤/١٥٧، وكان الطاعون بها سنة ١٨هـ.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/٣٥٧، التاريخ الصغير للبخاري ١/٤١ مختصراً، سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٤.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢١.

(٥) ينظر: المجموع ١/٣٨.

بإتقان تفسيره، ثم يحفظ من كل فن مختصراً ، ولا يشتغل بذلك عن تعهد دراسة القرآن فإنه أفضل الأذكار، فالاشتغال بالقراءة أفضل من الاشتغال بسائر الأذكار، إلا ما ورد فيه شيء مخصوص في وقت أو زمن مخصوص»،(١) ويدل على هذا قول الوليد بن مسلم القرشي مولاهم: « كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً، قال: يا غلام قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم، قال: اقرأ، وإن قال: لا، قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم»(٢).

وجاء في ترجمة الإمام المفسر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح القرشي ما يدل على التزامهم بهذا المنهج وسيرهم على هذه الطريقة، يبدأ الطالب أولاً بحفظ كتاب الله عز وجل فإذا حفظه وأتقنه بدأ بغيره من السنة وهكذا، يحكي ذلك عن نفسه فيقول: « أتيت عطاء - يعني بن أبي رباح - وأنا أريد هذا الشأن وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير المكي، فقال لي ابن عمير: قرأت القرآن؟ قلت: لا، قال: فاذهب فاقرأه ثم اطلب العلم، فذهبت فغَبَرت زماناً حتى قرأت القرآن، ثم جئت عطاء وعنده عبد الله فقال: قرأت الفريضة؟ قلت: لا، قال: فتعلم الفريضة ثم اطلب العلم، قال: فطلبت الفريضة ثم جئت، فقال: الآن فاطلب العلم، فلزمت عطاء سبع عشرة سنة»(٣).

المطلب الرابع: اهتمام السلف بتعلم القرآن :

بذل سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى جهودًا مشكورة في تعلم القرآن وطلب معرفة تفسيره وأحكامه مع السنة النبوية المشرفة، وسيرهم العطرة خير شاهد على ذلك، فمن صور عنايتهم بتعلم القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ:

---

(١) ينظر: فيض القدير ٢/ ٤٤.

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ١٠٨

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٧.

أولاً: الرحلة من أجل ذلك والتغرب في الأوطان وترك المال والأهل، وتحمل الشدائد والصعاب، حتى يوفق لإتقان تلاوة القرآن وحفظه والعلم بمعانيه وأحكامه والتزود من علومه وتفسيره، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(١)، وعن أبي الدرداء عويمر بن مالك رضي الله عنه قال: «لو أعيتني آية من كتاب الله عز وجل، فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجلاً ببرك (٢) الغماد لرحلت إليه»(٣)، ومن ذلك ما جاء في سيرة شيخ المقرئين في زمانه الإمام يحي بن وثاب الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، حيث دخل هو وأبوه الكوفة وكانت يومئذ حاضرة العلم والعلماء، فطلب من أبيه البقاء بها ليتعلم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، بملازمة حلق أهل العلم فيها، مؤثراً ذلك على الذهاب إلى بلده برفقة أهله، قائلاً لأبيه: «يا أبت إني آثرت العلم على المال»، فأذن له والده في المقام بالكوفة، فأقبل على القرآن الكريم فقرأه على أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث لم يدركه، فقرأ على علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهم.(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٧ برقم ٥٠٠٢، وروى مسلم نحوه في - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ١٦/ ١٧.

(٢) برك الغماد: بكسر الباء وفتحها وكسر الغين وضمها، والكسر أشهر، موضع باليمن، وقيل: موضع وراء مكة بخمس ليال، ينظر: معجم البلدان ١/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٢.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء٤/ ٣٧٩.

ومن تحملهم الشدائد والصبر على ذلك في سبيل تعلم القرآن الكريم قول أبي بكر شعبة بن عياش الأسدي مولاهم الكوفي: «اختلفت إلى عاصم - يعني: ابن أبي النجود - نحواً من ثلاث سنين، في الحر والشتاء والمطر، حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل»(١).

ثانياً: من صور إقبالهم على مشايخهم وحرصهم على الاستفادة منهم، ما جاء في ترجمة علي بن حمزة الكسائي، يقول خلف بن هشام: « كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم»(٢)، وقال أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري: «كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه، حتى المقاطع والمبادئ»(٣).

ثالثاً: من حرصهم على إتقان تلاوة القرآن عرضه على أكثر من شيخ، من أجل الضبط والتثبت، حتى ولو كان المقرئ أصغر سناً من القارئ، رغبة في الخير الذي سبقهم إليه، من ذلك ما جاء في سيرة أبي رجاء عمران بن ملحان العطاردي التميمي البصري من كبار المخضرمين ولم ير النبي ﷺ، أخذ القرآن،وتلقاه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ثم عرضه على ابن عباس رضي الله عنهما، وكان أسن منه.(٤)

المطلب الخامس: عنايتهم بتعليم أهليهم القرآن الكريم

حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم القرآن وهم في سن مبكرة، لأن التعليم في الصغر أدعى للفهم والحفظ والإتقان، وقد بوّب البخاري في

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٢.
(٢) ينظر: معرفة القراء الكبار ٧٤، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٢.
(٣) ينظر: معرفة القراء الكبار ٧٤، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٢.
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٤.

صحيحه: «باب تعليم الصبيان القرآن» وذكر فيه قول ابن عباس: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» وفي رواية «جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ، فقلت[١] له: وما المحكم؟ قال: المفصل»[٢].

قال الحافظ ابن كثير: «فيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا، وهو ظاهر بل قد يكون مستحباً أو واجباً ، لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه في الكبر وأشد علوقاً بخاطره وأرسخ وأثبت، كما هو المعهود من حال الناس.

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب، ثم توفر همته على القراءة، لئلا يلزم بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز عُلِّم قليلاً قليلاً، بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه، واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات، رويناه عنه بسند جيد»[٣]، وجاء في رواية أخرى عن عمر أنه كان يأمر بنيه بتعلم القرآن ويقول: «إن كان أحد منكم متعلماً فليتعلم من المفصل فإنه أيسر»[٤]، وعن إبراهيم بن يزيد النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يعلموا أولادهم القرآن حتى يعقلوا»[٥].

كما حرصوا أيضاً على تعليم مواليهم القرآن الكريم وكانوا يلزمونهم بذلك ، وهذا من الرعاية الواجبة عليهم تجاههم، يقول عكرمة مولى ابن

---

(١) القائل هو سعيد بن جبير الراوي عنه، وقيل غير ذلك، ينظر: فتح الباري ٩/ ٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل القرآن - باب تعليم الصبيان القرآن ٩/ ٨٣ برقم ٥٠٣٥-٥٠٣٦.

(٣) فضائل القرآن ص ٩٣.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٨١.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٥٣.

عباس رضي الله عنهما: « كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل،[١] ويعلمني القرآن والسنن»[٢]، ثم لازمه وغيره من أصحاب النبي ﷺ كأبي هريرة وعبدالله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم، قال رحمه الله تعالى: « طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار» [٣].

المطلب السادس: رعاية السلف طلابهم وإقبالهم عليهم

اعتنى معلمو القرآن من السلف الذين اشتغلوا بتعليم قراءاته وبيان معانيه وأحكامه بطلابهم، فأولوهم كل رعاية وعناية، كانوا قدوة لهم في حب كلام الله عز وجل وتعظيمه والإقبال عليه، مع التحلي بأخلاقه ورعاية حقوقه، والعمل بما فيه والتحاكم إليه والوقوف عند حدوده، أقبلوا على طلابهم بكل حفاوة وترغيب، وشملوهم بكل عطف ولين، محضوا لهم النصيحة وتابعوهم بالتوجيه السديد والإرشاد القويم، عاملوهم بطلاقة وجه وظهور بشر وحسن ود، ومؤانسة بالسؤال عن أحوالهم وتفقد أمورهم.

وأوضح صور هذا العطاء والتعليم والتربية ما كان للتابعين الذين شرفوا بالتتلمذ على أيدي الصحابة رضي الله عنهم، فتلقوا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ عنهم، ونهلوا من علومهم، وأفادوا منهم العمل بما تعلموه والطريق المستقيم الذي سلكوه والمنهج الراشد الذي التزموه.

ومن وصاياهم لطلابهم وللأمة من بعدهم قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء ، وإن البيت

---

(١) الكَبْل: القيد ، ينظر القاموس «كبل» ٤/ ٤٣.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨٦، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤.

الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة»[١]، وقال أيضاً: «إنما هذه القلوب أوعية، فأشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»[٢]، وعنه أيضاً قال: «إن للقرآن مناراً كمنار الطريق فما عرفتم منه فتمسكوا به ، وما شُبِّه عليكم -أو قال:شَبُه عليكم- فكلوه إلى عالمه»[٣]، وهو القائل -فيما اشتهر عنه -:«إذا سمعت الله يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه»[٤].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل» [٥].

ويتواصل هذا التعاهد بالتوجيه والإرشاد من التابعين وتابعي التابعين لمن بعدهم، أداءً للأمانة وتبليغاً لرسالة هذا العلم الذي تحملوه، القرآن الكريم، كان أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي يقول لطلابه: « تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء، وعليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا»[٦].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣٠، وعبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٨، وروى نحوه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢١.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣١.
(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٤٣.
(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٣١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣٠.
(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢٢، وروى نحوه الحاكم في المستدرك -كتاب التفسير- وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٣٤٥.
(٦) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢١٨.

وقال مالك بن دينار: « ما ذا زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن، إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض»[(١)].

وفي حث طلابهم على تعاهد ما حفظوه ومدارسة ما تعلموه يقول الضحاك بن مزاحم الهلالي: «ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [(٢)] ، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»[(٣)] .

ومما أبانه الصحابة والتابعون لهم بإحسان لطلابهم المنهج الصحيح في التعامل مع القرآن الكريم، من حيث تلاوته وحفظه وفهم معانيه وتدبر آياته وفقه أحكامه، يقول أبو العالية الرياحي: «كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة فشق علينا، حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا».[(٤)]

وعن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي قال قلت لابن عباس: «إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول».[(٥)]

وعن أبي الزاهرية حدير بن كريب الحضرمي أن رجلاً أتى أبا الدرداء بابنه فقال: «يا أبا الدرداء إن ابني هذا جمع القرآن، فقال: اللهم اغفر، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاعه» [(٦)].

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.
(٢) سورة الشورى، من الآية ٣٠.
(٣) ينظر: فضائل القرآن لابن كثير ٩١.
(٤) ينظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٣، سير أعلام النبلاء٤/ ٢٠٩.
(٥) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٨٢، فضائل القرآن لأبي عبيد ٧٤.
(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٦٢، وانظر: المرشد الوجيز ١٩٤.

وهكذا كان حال التابعين أيضاً مع طلابهم - رحمهم الله جميعاً - قال عبيد المكتب: «سئل مجاهد - يعني: ابن جبر - عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة، قراءتهما واحدة وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[1] أي: تؤدة».[2]

وأبان رحمه الله تعالى أن حقيقة تلاوة القرآن العمل به على الحقيقة، قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[3]: «يعملون به حق عمله»[4]، وقال ابن عباس: «يتبعونه حق اتباعه»[5]، وهكذا فهم من جاء بعدهم فأرشدوا إليه طلابهم وعلموه تلاميذهم، قال ضرار ابن صرد: «سمعت سليم بن عيسى الحنفي مولاهم - وأتاه رجل - فقال: يا أبا عيسى جئتك لأقرأ عليك بالتحقيق، فقال: يا ابن أخي شهدت حمزة - يعني ابن حبيب الزيات - وأتاه رجل في مثل هذا فبكى، وقال: يا ابن أخي إنما التحقيق صون القرآن، فإن صنته فقد حققته، هذا هو التحقيق»[6].

ومن الأساليب التي سلكها السلف الصالح في تعليم القرآن تشجيع طلابهم والثناء عليهم وتقريبهم والرفع من منازلهم وإكرامهم، مما كان له الأثر الواضح في إقبالهم على القرآن يحفظونه ويتعلمون أحكامه ويتفهمون معانيه من مشايخهم ومعلميهم، جاء في ترجمة علقمة بن قيس النخعي أنه لازم

---

(١) سورة الإسراء، من الآية ١٠٦.
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٧٥، والآجري في أخلاق حملة القرآن ٨٣، والطبري في تفسيره ١٥/ ١٧٩.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٢١.
(٤) رواه الأجري في أخلاق حملة القرآن ٥٠، والطبري في تفسيره ٢/ ٥٦٨.
(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٦١، والطبري في تفسيره ٢/ ٥٦٦، ورواه أيضاً عن عكرمة.
(٦) ينظر: المرشد الوجيز ٢٠٨.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأخذ عنه القرآن وجوده على يديه، مع العلم بتفسيره، وبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً، وكان شيخه ابن مسعود رضي الله عنه يعرف ذلك له ويثني عليه به، ويرفع من قدره لأجله، يقول علقمة: «كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدني فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن حسن الصوت زينة القرآن**»[1]»[2]، وقد شهد له أيضاً بحسن الصوت مع العلم بمعاني القرآن حيث يقول: «ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه»[3]، وهذه شهادة عالية وتزكية رفيعة ممن له الشهرة والمعرفة بتلاوة القرآن والعلم بتفسيره، لذا فقد كان علقمة مترسماً خطى شيخه، سائراً على نهجه في العناية بالقرآن والتمسك بالدليل واتباع السنة، قال أبو معمر عبد الله بن سخبرة مرة لأصحابه: « قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله - يعني: ابن مسعود - هدياً وسمتاً ودلاً، فقاموا معه حتى جلسوا إلى علقمة».[4]

وهذا ما سلكه ابن عباس رضي الله عنهما مع طلابه النجباء المتميزين، منهم أبو الشعثاء جابر بن زيد فقد أثنى عليه شيخه لعلمه بكتاب الله عز

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦/ ٩٠، وفي سنده سعيد بن زربي، وهو منكر الحديث، ينظر: تقريب التهذيب ص ٢٣٥، وقد صح عنه ﷺ من حديث البراء بن عازب «زينوا القرآن بأصواتكم» رواه أحمد ٤/ ٢٨٥ و ٣٠٤، وأبو داود في سننه -كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/ ٧٤ برقم ١٤٦٨، والنسائي في سننه -كتاب الافتتاح - تزيين القرآن بالصوت ٢/ ١٧٩، وابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٤٣ برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٤٠٤.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٦/ ٩٠، فضائل القرآن لأبي عبيد ٧٤ ،سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٩٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٩٨،سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.

وجل قراءة وتفسيراً، فقهاً لأحكامه وفهماً لمعانيه، مما يجعل الثقة في نفسه ويزيده همة ونشاطاً في طلب العلم والاستزادة من المعرفة، روي عنه أنه قال: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله عز وجل»، وفي رواية «لو نزل أهل البصرة بجابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله عز وجل»[(١)].

ومن تشويق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه طلابه وترغيبهم في تعلم القرآن وإتقان تلاوته ما رواه أبو عَبيدة السلماني عنه «أنه كان يُقرئ القرآن فيمر بالآية فيقول للرجل: خذها، فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء»[(٢)].

ومن الأمثلة أيضاً في حياة سلفنا الصالح ما كان لأبي بكر شعبة بن عياش مع شيخه عاصم بن أبي النجود، الذي صبر على تعليمه حتى أتقن التلاوة وجود القراءة، قال يحي بن آدم: «قال لي أبو بكر: تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم ، فلقي مني شدة، فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلماً»[(٣)]، وقد وجهه شيخه إلى حمد ربه على هذه النعمة التي وفقه لها وأعانه على إتقانها، قال رحمه الله: «قال لي عاصم: احمد الله تعالى فإنك جئت وما تحسن شيئاً، فقلت: إنما خرجت من المكتب ثم جئت إليك، قال: فلقد فارقت عاصماً وما أسقط من القرآن حرفاً»[(٤)].

ولثناء الشيخ على الطالب المتفوق المتقن أمام زملائه أثره الفاعل، تشجيعاً له واستمراراً منه على مواصلة التعليم، وتثبيتاً لما تحصله من شيخه، وحفزاً

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٧٩-١٨٠، حلية الأولياء ٣/ ٨٥، سير أعلام النبلاء ٣/ ٨٥.
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢٢، وانظر: مجمع الزوائد ٧/ ١٦٦-١٦٧.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٢، معرفة القراء الكبار ٨٢.
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٢.

لهمـم طلابه أن يجدوا وينشطوا في الطلب والتحصيل والإتقان والضبط، وهذا مـا كـان للإمـام أبـي عيسى سليم بن عيسى الحنفي مولاهم الكوفي، الذي قرأ عـلى شيخه الإمـام حمـزة بـن حبيـب الزيات أحد القراء السبعة القرآن عشر مـرات، فكـان له الإتقان والضبط، الذي فاق به أقرانه، وكان شيخه يثني عليه بذلـك أمام طلابه، يقول يحي بن عبد الملك: «كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب، فإذا جاء سليم قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا فقد جاء سليم»(١).

ومـن الآداب الـتي يجـب أن يراعـيها معـلم القرآن حسن الخلق مع طلابه ولينه وشـفقته علـيهم والتواضـع لهـم، يقـول الإمام علي بن محمد الماوردي: «ومـن آدابهـم ألا يعنفوا متعلماً ولا يُحَقروا ناشئاً ولا يستصغروا مبتدئاً ، فإن ذلـك أدعى إليهم وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم»(٢)، ويقول الإمـام الـنووي: « وينـبغي أن يحـنو عـلى الطالـب، ويعـتني بمصالحه كاعتنائه بمصـالح نفسـه ومصـالح ولـده، ويجـري المتعـلم مجرى ولـده في الشفقة عليه والاهـتمام بمصـالحه، والصـبر عـلى جفائه وسوء أدبه ، ويعذره في قلة أدبه في بعـض الأحـيان، فإن الإنسان معرض للنقائص، لا سيما إن كان صغير السن، وينـبغي أن يحـب له مـا يحـب لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من الـنقص مطلقاً، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لا يؤمن أحدكـم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: " أكـرم الـناس علـيّ جليسـي الـذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي، لو

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار ٨٤، غاية النهاية ١/ ٣١٩.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين ٩١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان -باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٥١ برقم ١٣، ومسلم في صحيحه -كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ١/ ١٦، كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

استطعت ألا يقع الذباب على وجهه لفعلت»، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني».

وينبغي ألا يتعاظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع لهم، فقد جاء في التواضع لآحاد الناس أشياء كثيرة معروفة، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده، مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن، مع ماهم عليه من حق الصحبة وترددهم إليه».[1]

وقد اعتنى السلف الصالح بهذا وامتثلوه قولاً وعملاً، وسيرهم العطرة مع طلابهم خير شاهد على ذلك، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم مع جهلكم».[2]

وهم بهذا الصنيع يسيرون على هدي القرآن ويمتثلون أمره، كان أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي إذا دخل عليه أصحابه وطلابه ليقرئهم رحب بهم ووطأ كنفه لهم وألان القول معهم، ثم يقرأ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[3] [4].

وجاء في سيرة الإمام عمرو بن قيس الملائي أنه كان عند إقرائه طلابه القرآن يجلس بين يدي أحدهم حتى يفرغ منهم، وكان إذا مشى لا يمشي أمامهم، يقول: «تعالوا نمشي جميعاً»[5].

وقد ذكر من ترجم للإمام المقرئ نافع بن أبي نعيم المدني أحد القراء

---

(١) ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ٣١- ٣٢.

(٢) رواه أحمد في الزهد ١٧٧ ، والآجري في أخلاق حملة القرآن ٦١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٥.

(٣) سورة الأنعام، من الآية ٥٤.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٢١، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١١.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٠٢.

السبعة أن من أسباب إقبال الطلاب على أخذ القراءة منه وملازمته ما كان عليه رحمه الله تعالى من حسن الخلق وصباحة الوجه وطلاقته وكرمه وجوده على طلابه وغيرهم، يقول عيسى بن مينا قالون: «كان نافع من أطهر الناس خلقاً، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهداً جواداً، صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة»[١]، وجاء أيضاً أنه: « كان يسهل القرآن لمن قرأ عليه»[٢].

ومن صور صبر القراء المعلمين من السلف على ما يلقونه من طلابهم من مشقة وشدة ما رواه يحي بن آدم عن أبي بكر شعبة بن عياش أنه قال: «تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقي مني شدة، فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلماً».[٣]

وكانوا رحمهم الله تعالى لا يخصون بتعليم القرآن أحداً، بل يقبلون على كل من رغب تعلم تلاوة القرآن وفهم معانيه والعلم بأحكامه وتفسيره، لذا فقد انتفع بهم خلق كثير، وعم نفعهم وبركة علمهم عموم الناس، والأمثلة على هذا في سيرهم وأحوالهم كثيرة، فهذا أبو الدرداء عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه سيد القراء بدمشق وممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ جلس لإقراء الناس وتعليمهم بدمشق، فانتفع به خلق كثير، يقول مسلم بن مِشْكم الخزاعي: «قال لي أبو الدرداء: اعدد من في مجلسنا، قال: فجاؤوا ألفاً وستمائة ونيفاً، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح انفتل، وقرأ جزءاً فيحدقون به يسمعون ألفاظه، وكان ابن عامر

---

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار ٦٥، غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.
(٢) ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٢، معرفة القراء الكبار ٨٢، وقد سبق.

مقدماً فيهم»[١]، وكان رضي الله عنه يقول: «مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ تعلموا، فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر»[٢].

وقد سبق القول بأن الإمام التابعي أبا عبد الرحمن السلمي الراوي عن عثمان رضي الله عنه حديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» جلس لإقراء الناس مدة طويلة من خلافة عثمان إلى أوائل أيام الحجاج، أي: حوالي أربعين سنة، حيث توفي سنة (٧٣) هـ وقيل سنة (٧٤) هـ، ومن حرصه على عموم بركة تعليم القرآن وشمول نفعه الناس أنه كان يبدأ بتعليم أهل السوق[٣]، قال محمد بن محمد ابن الجزري: «وكان أبو عبد الرحمن السلمي وعاصم يبدآن بأهل السوق، لئلا يحتبسوا عن معايشهم»[٤].

وجاء في ترجمة أبي عمرو زبان بن العلاء التميمي البصري أحد القراء السبعة، أنه كانت له حلقة عظيمة مشهورة يؤمها من يريد تعلم القرآن، لا يُرد من طلبها أو يُقام من جلس فيها، يوضح ذلك ما رواه الأخفش قال: «مر الحسن بأبي عمرو وحلقته متوافرة، والناس عكوف، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو عمرو، فقال: لا إله إلا الله، كادت العلماء أن تكون أرباباً، كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول»[٥].

وجاء في ترجمة العلامة أبي الحسن محمد بن النضر الدمشقي المعروف بابن الأخرم أنه كانت له حلقةعظيمة بجامع دمشق، يقرأ عليه فيها طلابه من الفجر إلى الظهر،[٦] قال علي بن داود الداراني: «قدم ابن الأخرم بغداد فأمر ابن

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦، معرفة القراء الكبار ٢٠، غاية النهاية ١/ ٦٠٧.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢١٢، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٧.

(٣) ينظر: غاية النهاية ١/ ٤١٤.

(٤) ينظر: منجد المقرئين ٦٣.

(٥) ينظر: غاية النهاية ١/ ٢٩١.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٥، غاية النهاية ٢/ ٢٧١.

مجاهد - يريد: أحمد بن موسى بن مجاهد - تلامذته أن يختلفوا إلى ابن الأخرم»(١).

قال بعض الفضلاء: «رحم الله ابن مجاهد ما أصدقه في تعليم تلامذته، أمرهم وحثهم على طلب العلم وتعلم القرآن من عالم آخر، ولم يضره أن يترك تلامذته حلقته بطلبه إلى عالم آخر من أقرانه، لا كما يفعل البعض، حيث يغضب أن حرص الطالب على التعليم من عالم آخر متبحر ومختص في علمه، ويرى في هذا التصرف انتقاصاً له، مع أن الطالب لم يتركه بل أراد الاستزادة من العلم»(٢).

ومن الصور المشرقة في تعليم السلف رحمهم الله تعالى القرآن الكريم لعموم الناس عدم تخصيصه فئاماً أو طائفة منهم، فقد احتسب بعضهم تعليم طائفة من المجتمع يحتاج تعليمهم إلى مزيد عناية وبذل جهد ومصابرة، وهم العميان، وممن اشتهر بذلك أبو منصور محمد بن أحمد البغدادي الخياط حيث جلس لتعليم كتاب الله عز وجل العميان وغيرهم دهراً، فتلا عليه أمم، حتى بلغ من أقرأ من العميان سبعين نفساً، مع السؤال عن حالهم والإنفاق عليهم(٣).

قال بعضهم: « ومن يطيق تعليم من لا يستطيع القراءة، ويعتمد على السمع والتلقين،فما أصبره على القراءة بصوت مرتفع، وكثرة التلقين والترديد، فما أعظم ما ينال من الأجر العظيم والمثوبة والمغفرة»(٤).

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٥، غاية النهاية ٢/ ٢٧١.

(٢) ينظر: مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح ٢١- ٢٢.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٣.

(٤) ينظر: مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح ٢٢.

ومع كثرة طلابهم والمتعلمين على أيديهم فقد كانوا يبينون لهم منهجهم وطرقهم في أخذهم من شيوخهم، أداءً للأمانة وبياناً للحق ودقة في النقل، فرحمهم الله تعالى أجمعين، يقول حفص بن سليمان: « قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على رز بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه»[(١)].

ولأن تعليم القرآن من الأعمال الفاضلة والقربات المباركة فقد كان بعض السلف رحمهم الله يجتهد فيه ويتحرى من أجله الأزمان الفاضلة كشهر رمضان، يقول تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [(٢)]، قال أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري: «شهدت قتادة يدرس القرآن في رمضان»[(٣)].

وكانوا - رحمهم الله تعالى- يرشدون طلابهم إلى الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم ومراجعته ومعاهدته، وهذا من نتائج تجاربهم وثمار تحصيلهم واجتهادهم، ومن تلك التوجيهات النافعة قول أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي: «تعلموا القرآن خمس آيات، فإنه أحفظ لكم»[(٤)]، وعلى هذا المنهج سار جملة منهم، يقول أبو بكر شعبة بن عياش: « تعلمت القرآن من عاصم خمساً خمساً، ولم أتعلم من غيره ولا قرأت على غيره»[(٥)]، وليس أخذهم المنهج الصواب خاصاً بالتلاوة والحفظ، بل تلقوا عنهم أيضاً ما يرتبط بفهم الآيات

---

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار ٥٣، غاية النهاية ١/ ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٨٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٣.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢١٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١١.

(٥) ينظر: معرفة القراء الكبار ٨٢-٨٣، سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٢.

وتفسيرها والعلم بأحكامها مع العمل بما فيها، تلقى المنهج في ذلك التابعون عن الصحابة، مبينين ذلك للأمة؛ يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله تعالى: «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم»[(١)]، وفي رواية عنه قال: « حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[(٢)].

وروى أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[(٣)].

المطلب السابع: منهج طلابهم في الأخذعنهم والتزام الأدب معهم

التزم الطلاب المعتنون بتعلم كتاب الله عز وجل من السلف الصالح رحمهم الله تعالى منهجاً سليماً في الأخذعن شيوخهم ، ممايدل على حرصهم واجتهادهم واهتمامهم بهذا الأمر العظيم، بدءاً من مراحله الأولى، حيث حرصوا على تفقد الشيوخ والسؤال عن دينهم ومبلغهم من العلم، والبحث في أحوالهم وعن رجال أسانيدهم، ليطمئن أحدهم إلى هذا الشيخ وعلمه، قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[(٤)]، فإذا

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩، ١/ ٤٩٠.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٣١.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٨٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٨.

(٤) ينظر: مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٤،طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٤، حلية الأولياء ٢/ ٢٧٨.

وجدوا بغيتهم لازموهم ونهلوا من علومهم مستكملين آداب طالب العلم، متحلين بحلية الراغب في الخير المقبل عليه.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سيرة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، يقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «كنا نقرأ على أبي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، وكان نافع يأتيه فيقول: يا أبا جعفر ممن أخذت حرف كذا وكذا؟ فيقول: من رجل قارئ من مروان بن الحكم، ثم يقول له: ممن أخذت حرف كذا وكذا؟ فيقول: من رجل قارئ من الحجاج بن يوسف، فلما رأى ذلك نافع، تتبع القراءة يطلبها»(١).

ويقول أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي: «كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع»(٢).

وقال أبو بكر شعبة بن عياش: « ما رأيت أحداً أقرأ من عاصم فقرأت عليه، وما رأيت أحداً أفقه من المغيرة - يعني: ابن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي - فلزمته»(٣).

أما عن ملازمتهم شيوخهم وعرضهم القراءة عليهم عدة مرات مع العلم بتفسير الآيات وفقه أحكامها ومسائلها فالأمثلة على هذا من سيرهم العطرة كثيرة جداً، فقد اشتهر عن الإمام التابعي مجاهد بن جبر أنه لازم عبد الله بن عباس رضي عنهما ملازمة شديدة، قال رحمه الله: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة»، وفي رواية عنه قال: «عرضت القرآن على ابن عباس

---

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار٦٥.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٢٠.

(٣) ينظر: معرفة القراء الكبار ٨٣، سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠٣.

ثلاث عرضات، أوقفه عند كل آية أسأله فيمن نزلت وكيف كانت»[1]، وقال عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»[2].

قال بعض العلماء: «ولا تعارض بين هذه الروايات، فإن الإخبار بالقليل لا ينافي الإخبار بالكثير، ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة لتمام الضبط ودقة التجويد وحسن الأداء، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلباً لتفسيره ومعرفة ما دق من معانيه وما أشكل عليه»[3].

ولم يقتصر في أخذه عن ابن عباس فقط، بل أخذ أيضاً عن جملة من الصحابة كابن عمر وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم، مع عنايته بهذا العلم واجتهاده في تحصيله، روي عن ابن لمجاهد قال: «قال رجل لأبي: أنت الذي تفسر القرآن برأيك، فبكى أبي ثم قال: إني إذاً لجريء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين»[4].

لذا فقد أجمعت الأمة على إمامته في هذا الشأن وعلو شأنه فيه، قال سفيان بن سعيد الثوري: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»[5]، وقد اعتمد تفسيره البخاري في صحيحه في كتاب التفسير منه، حيث نقل الكثير من تفسيره، وهذه أكبر شهادة من البخاري على ثقته وعدالته، واعترافه بمبلغ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٥، حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠، طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٠، معرفة القراء الكبار ٣٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٩٠، مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ١٣/ ٣٦٩.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٠٤.

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٠٧.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٩١

علمه بكتاب الله عز وجل ومعرفة معانيه، قال محمد بن أحمد الذهبي: «أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به»[١]، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة.

ومن الأئمة الذين اشتهروا بطول ملازمة الشيوخ والإفادة من علومهم عكرمة مولى ابن عباس، حدث بذلك عن نفسه فقال: «أدركت مائتين من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد»[٢] - يعني: مسجد رسول الله ﷺ-، وقال أيضاً: «طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار»[٣].

ومن تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما الذين لازموه ونهلوا من علمه ومن غيره، حرصاً واجتهاداً منهم على ذلك، أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري ، قال رحمه الله تعالى: «جاورت ابن عباس ا ثنتي عشرة سنة في داره، وما من القرآن آية إلا وقد سألته عنها، وكان رسولي يختلف إلى أم المؤمنين -يعني:عائشة- غدوة وعشية»[٤] يسألها عن العلم.

كما اشتهر أيضاً من الأئمة القراء مَنْ عرفوا بكثرة الشيوخ والإفادة منهم، يقول نافع بن أبي نعيم المدني: «قرأت على سبعين من التابعين»[٥]، وجاء في ترجمة أبي عمرو زبان بن العلاء التميمي البصري أنه أخذ القراءة عن شيوخ زمانه وأئمة عصره، ورحل من أجل ذلك، فقرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة، حتى قيل إنه ليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه[٦].

---

(١) ميزان الاعتدال ٦/ ٢٥.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٢٩.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٧٩.

(٥) ينظر: معرفة القراء الكبار ٦٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦، غاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٦) ينظر: معرفة القراء الكبار ٥٨-٥٩، غاية النهاية ١/ ٢٨٩.

ومـمـن اشـتـهر أيضـاً بالرحلة في طلب العلم وملازمة الشيوخ الإمام المفسر أبـو خـالد عـبد الملـك بـن عـبد العزيـز بن جريج القرشي، فقد ولد بمكة، ثم طـوف في كثير من البلاد، فرحل إلى البصرة واليمن وبغداد وغيرها، فنقل عن أئمـة زمانه القراءة والتفسير والأحكام، وممن لازم من أهل العلم شيخه عطاء ابـن أبي رباح بمكة، مغتنماً حياته المباركة بعلمي الكتاب والسنة، يسافر والداه ويقيم عنده، حباً لشيخه وحرصاً على الإفادة منه، قال رحمه الله تعالى: «أقمت عـلى عطـاء إحـدى وعشرين حجة -أي سنة- يخرج أبواي إلى الطائف وأقيم أنا - أي بمكة- تخوفاً أن يفجعني عطاء بنفسه»[1]، أي: بموته.

وقـد ذكـر رحـمـه الله تعـالى سبب توجهه إلى هذا العلم بقوله: «كنت أتتبع الأشـعار العـربـية والأنسـاب، فقيل لي: لو لزمت عطاء، فلزمته»[2]، وهذا من توفـيق الله لـه، قـال ﷺ: « **مـن يـرد الله بـه خـيراً يفقهـه في الديـن**»[3]. رواه البخاري ومسلم.

وكانوا في ملازمتهم لشيوخهم يتسابقون إلى مجالسهم ويبكرون في الحضور إلـيها، ومـن أمـثلة ذلـك قول محمد بن علي السلمي: «قمت ليلة سحراً لآخذ الـنوبة عـلى ابـن الأخـرم، فوجـدت قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركني النوبة إلى العصر»[4].

وكـانوا أيضـاً مـع طـول الملازمـة لشـيوخهم والاجـتهاد في الأخـذ عنهم والـنهل مـن علومهـم متحلين بآداب طالب العلم، احتراماً لشيوخهم وتقديراً

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٦

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١/ ١٦٤ برقم ٧١، ومسلم في صحيحه -كتاب الزكاة- باب النهي عن المسألة ٧/ ١٢٨ من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٥، غاية النهاية ٢/ ٢٧١.

لعلومهم، وإكراماً لمجالسهم وصيانة لها مما يشينها أو ينقص من قدرها ومكانة أهلها، قال ابن القيم محمد بن أبي بكر رحمه الله تعالى: « للعلم ست مراتب: **أولها**: حسن السؤال، **الثانية**: حسن الإنصات والاستماع، **الثالثة**: حسن الفهم، **الرابعة**: الحفظ، **الخامسة**: التعليم، **السادسة**: وهي ثمرته، العملُ به ومراعاة حدوده»[١].

وقد أدرك هؤلاء الأئمة القراء ما كان عليه طلابهم من الأدب الجم معهم والاحترام والتقدير لهم، فاعترفوا لهم بذلك وأثنوا عليهم به، يقول الأعمش سليمان بن مهران: «ما رأيت مثل طلحة -يعني:ابن مصرف اليامي - إذا كنت قائماً فقعدت قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فحللت حبوتي قطع القراءة، كراهية أن يكون قد أمَلّني»[٢]، وقال أيضاً: «كان طلحة بن مصرف يجيئني فأقريه، فلا يطلبني حتى أخرج، فإن تنحنحت أو سعلت قام»[٣]، وحكى أيضاً أدب هذا الطالب معه ومراعاة ظروفه وعدم إزعاجه، والحرص على راحته بقوله: «كان طلحة يجيء فيجلس على الباب فتخرج الجارية وتدخل، لا يقول لها شيئاً، حتى أخرج فيجلس ويقرأ، فما ظنكم برجل لا يخطئ ولا يلحن، فإن استندت على الحائط -أي: من الجهد والتعب- قال: السلام عليكم ويذهب»[٤].

ومن صور تواضع طالب العلم مع شيخه والتذلل لأجل الإفادة منه، ما جاء في سيرة الإمام التابعي المقرئ عمرو بن قيس الملائي ، كان إذا أتى

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٤.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨.
(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨.
(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨، وانظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩١.

الرجل من أهل العلم جثى على ركبتيه، ثم يقول: «علمني مما علمك الله»، يتأول قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[١] [٢].

وكان سعيد بن جبير الأسدي مولاهم يجل شيخه ابن عباس رضي الله عنهما ويعرف له قدره، ولَوَدَّ أن قبل رأسه احتراماً له، يقول رحمه الله تعالى: «كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو أذن لي لقبلت رأسه»[٣].

وكانوا يحرصون على صحبة مشايخهم في السفر اغتناماً للوقت معهم، وليقوموا بخدمتهم والوفاء بحقهم، يقول الإمام مجاهد بن جبر : «صحبت ابن عمر -في سفر- وإني أريد أن أخدمه فكان هو يخدمني»[٤].

ومن وفائهم لمشايخهم الاعتراف بالفضل لله عز وجل أولاً ثم لهم في التعليم والتحصيل، والثناء عليهم بما بذلوه معهم من إرشاد وتوجيه وصبر على ذلك، مع الدعاء لهم بظهر الغيب، فهذا الإمام التابعي سفيان بن سعيد الثوري يثني على شيخه الإمام المقرئ عمرو بن قيس الملائي - وقد لازمه مدة طويلة- أن علمه القرآن والفرائض وحرص على تأديبه، اعترافاً بفضله بعد فضل الله عليه، ورداً للمعروف إلى أهله، وهذا من الوفاء وحسن العهد الواجب على الطالب تجاه شيخه ومعلمه، قال رحمه الله تعالى: «عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن وعلمني الفرائض، فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته، إما يصلي وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أموراً تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة،

---

(١) سورة الكهف، من الآية ٦٦

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٠٢.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٢٨٣، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٠.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٨٥ -٢٨٦، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢.

في زاويـة مـن زوايـا المسـجد قاعداً يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه»[١].

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٠١، وانظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٠.

المبحث السادس

إكرام أهل القرآن وتقدير حملته.

المطلب الأول: إكرام أهل القرآن في الكتاب والسنة

خص الله عز وجل أهل القرآن وحملته بخير عظيم ومرتبة عالية ومنزلة رفيعة، لما اعتنوا بكتابه وصرفوا جهودهم وشغلوا أزمانهم بحفظه وتلاوته وخدمته والعناية به، من حيث إقراؤه وتعليمه وتفسيره وبيان أحكامه والوقوف على هداياته ودلالاته، والعمل به وتحكيمه ودعوة الناس لذلك كله، فأعظم آية في فضل القراء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]، قال مطرف بن عبد الله ابن الشخير «هذه آية القراء».[2]

وفي سنة النبي ﷺ من قوله وفعله ما يدل على إكرام حملة القرآن وتوقيرهم وتقديمهم على غيرهم، لأنهم أهل الله وخاصته ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس فقيل: من أهل الله منهم ؟قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»رواه أحمد وغيره[3]، ومن أدلة هذا التكريم والتقدير ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان**

---

(١) سورة فاطر: الآيتان ٢٩-٣٠.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٨٧، وانظر: الدر المنثور ٧/ ٢٣.

(٣) سبق تخريجه.

المقسط» رواه أبو داود.[(١)]

فمن تعظيم الله عز وجل وإجلاله وخشيته، إكرام هؤلاء الثلاثة، ومنهم حامل القرآن الذي يتلوه حق تلاوته، دون غلو أو جفاء، أو إفراط أو تفريط، بل عدل وسط يستن في هذا بهدي النبي ﷺ.

ومن أدلة تقدير حامل القرآن وقارئه وعلو مكانته ورفعة منزلته تقديمه في إمامة الناس في صلاتهم فهو أحق بذلك، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً..**» الحديث، رواه مسلم،[(٢)] وعن عمرو بن سلمة الجرمي رضي الله عنه قال: «**لما قدم وفد من قومي على رسول الله صلى عليه وسلم قالوا: يا رسول الله من يصلي لنا ، أو بنا؟ فقال: أكثركم جمعاً أو أخذاً للقرآن**» رواه أبو داود.[(٣)]

وهذا الإكرام والتقدير موصول لحامل القرآن وقارئه بعد موته، وهذا من بركة القرآن على أهله، فعندما تلجئ الضرورة إلى جمع ميتين فأكثر في قبر واحد لكثرة الأموات ومشقة أن يكون لكل واحد قبر،فإن أكثرهم قراءة للقرآن هو المقدم في اللحد، كما هو هدي النبي ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في**

---

(١) رواه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في تنزيل الناس منازهم ٤/ ٢٦١ برقم ٤٨٤٣، وقد حسنه النووي في التبيان ٢٠، والألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٨٩، وصحيح الجامع برقم ٢١٩٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب من أحق بالإمامة ٥/ ١٧٢-١٧٣.

(٣) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب من أحق بالإمامة ١/ ١٦٠ برقم ٥٨٧.

اللحد» رواه البخاري.[١]

المطلب الثاني: إكرام أهل القرآن في حياة سلفنا الصالح

مما فقهه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان وامتثلوه، إكرام قارئ القرآن والرفع من قدره، يظهر ذلك في صور شتى وأحوال كثيرة، فهو المقدم ليؤم الناس في صلاتهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما قدم المهاجرون الأولون نزلوا العصَبَة[٢] قبل مقدم رسول الله ﷺ، فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثرهم قرآناً». زاد الهيثم بن خالد الجهني: «وفيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد».[٣]

وقارئ القرآن العالم بأحكامه رفيع القدر عظيم المنزلة، يفوق غيره وإن كان أشرف منه نسباً أو أعظم جاهاً، وهذا مما قدره سلفنا الصالح حق قدره، فعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**» وروي عنه أنه قال: «ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن».[٤]

والقراء العالمون هم المقربون في المجالس، يستنار بآرائهم ، ويستفاد من توجيهاتهم ويؤخذ بمشورتهم، كما كان عمر رضي الله عنه يصنع، وهو من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب الصلاة على الشهيد ٣/ ٢٠٩ برقم ١٣٤٣.

(٢) العصبة: موضع بقباء ، ينظر: معجم البلدان ٤/ ١٢٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب إمامة العبد والمولى ٢/ ١٨٤ برقم ٦٩٢، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب من أحق بالإمامة ١/ ١٦٠ برقم ٥٨٨.

(٤) سبق تخريجه.

الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً» رواه البخاري.[١]

وقد سار التابعون ومن بعدهم على هذا المنهج الراشد في تكريم أهل القرآن وتقدير حملته المعتنين به، وفي سيرهم أمثلة كثيرة على هذا، يقول الحسن بن فهم: «ما رأيت أنبل من خلف بن هشام البزار كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث»،[٢] وكان لا يرى استصغار حامل القرآن، بل لابد من توقيره، فإن معه أعظم وأفضل ما يرفع به الناس.[٣]

وجاء في سيرة خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة المذحجي الجعفي الكوفي الإمام التابعي المقرئ أنه كان يجعل سلة فيها خبيص تحت السرير، فإذا جاء القراء وأصحابه أخرجها لهم وقال: «كلوا فوالله ما أشتهيه وما أصنعه إلا لكم، وكان موسراً ذا مال، فيتتبع حاجاتهم ويقضي ديونهم، إذا رأى أحدهم منخرق القميص أو الرداء أو به خلة تحيّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه، فيقول اشتر قميصاً، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا».[٤]

ومثل هذا ما جاء في سيرة الإمام التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الذي أدرك عدداً من الصحابة فأخذ عنهم، ثم جلس لإقراء القرآن في بيته مع إكرامه القراء وحفاوته بهم، يقول مجاهد: «كان لعبد الرحمن بن أبي ليلى بيت فيه مصاحف، يجتمع إليه فيه القراء، فلما تفرقوا إلا عن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب تفسير قوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآية، ٨/ ٣٠٤ برقم ٤٦٤٢.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٩، معرفة القراء الكبار ١٢٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٢٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٩، تاريخ بغداد ٨/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ١١٣.

طعام»،[١] وهذا من باب التشجيع لهم وتأليف قلوبهم والإقبال بها على القرآن، لا سيما مع شدة حاجة بعضهم إلى الطعام، لما كانوا فيه من عوز وفاقة.

ومن أبلغ ما جاء في سير التابعين من إكرام حملة القرآن وتقديرهم وتشجيعهم ومكافأتهم على ذلك، ما جاء في سيرة أبي عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الإمام العابد «فقد كانت له جارية أدبها فأحسن تأديبها وأقرأها القرآن، فكانت تقرأ القرآن بصوت حزين ، فقال لها يوماً: لقد أعطيت فيك ألف دينار، اذهبي فلا يملكك أحد، فأنت حرة لوجه الله».[٢]

(١) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٣٥٠.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٢٦٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٥

المبحث السابع
علمهم بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه والفتيا به

المطلب الأول: أهمية العلم بتفسير القرآن والعلم بأحكامه

أنـزل الله عز وجل كتابه الكريم هدى و نوراً هذه الأمة متى اعتنت بتعلم تلاوتـه ومعـرفة أحكامـه وتفهـم آياتـه، فأقبلت عليه تتلوه حق تلاوته مغتنمة الأجـر العظـيم في ذلـك ، و تمسـكت بـه و تحاكمـت إلـيه ، وعملت بمحكمه وآمنـت بمتشـابهه، إئـتماراً بأوامره و ابتعاداً عن زواجره و نواهيه ووقوفاً عند حـدوده، ولن يكون لها ذلك حتى تعلم تفسيره ومراد الله منه ، ومعرفة أوامره ونواهـيه وحلالـه وحـرامه ، وشـرائعه وأحكامـه ، فعلم معاني القرآن ينصب عـلى تفسـيره وشـرح آياتـه وبـيان مقاصد عباراته، وهذا يحتاج إلى فكر ونظر صـائب لإظهار المراد وتبين المقصود، ولذا كان منهج النبي ﷺ الذي ربى عليه أصـحابه ، ولقـنه الصـحابة رضي الله عنهم من بعدهم ، وسار عليه الموفقون مـن عباد الله ما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله تعالى قـال: «حدثـنا الذيـن كـانوا يقرؤونـنا القـرآن كعـثمان بن عفان و عبد الله بن مسـعود رضـي الله عنهما و غيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيـات لم يجاوزوهـا حـتى يتعـلموا مـا فـيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلمنا القـرآن و العـلم و العمل جميعاً»،[1] وقال أبو وائل شقيق بن سلمة: «قال عبد الله بـن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حـتى يعرف معانيهن و العمل بهن»،[2] وفي رواية «كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشـر آيـات لم نتعـلم مـن العشـر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيها»[3]، فلا يمكن العمل بكتاب الله و اتباعه إلا بعد العلم به و فهم معانيه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٠.

ولا يكـون ذلـك إلا بالمدارسـة والمذاكـرة ، و التعلـيم والتحصيل ، والالتحاق بحلـق أهـل العلم ولزوم المشايخ والنظر في كتبهم، وفي ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، عـن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيـت مـن بـيوت الله، يـتلون كـتاب الله ويتدارسـونه بيـنهم، إلا نزلـت علـيهم السـكينة وغشـيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[1]، وسئل ابن عـباس رضي الله عنهما «أي العمل أفضل؟ فقال: ذكر الله أكبر، وما جلس قوم في بيـت مـن بـيوت الله ، يدرسـون في كـتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، و كانوا أضياف الله ما داموا فيه، حتى يخوضوا في حديث غيره»[2].

المطلب الثاني: عناية السلف بفهم القرآن والعلم بأحكامه

في فضل طلب علم القرآن وفهم آياته ومعرفة أحكامه روى ابن أبي حاتم والطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] قال: «المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله»[4]ورويا أيضاً عن قتادة ومجاهد وأبي العالية أنهم قالوا: «القرآن والفقه فيه»،[5] وقال مجاهد: «أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل»[6] وقال الحسن البصري «والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعني بها»[7].

---

(١) جزء مـن حديـث رواه مسـلم في صحيحه - كتاب الذكر و الدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن و على الذكر ١٧/ ٢١.

(٢) رواه عـنه الآجري في أخلاق حملة القرآن صـ٣٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٤٦ و عزاه لسعيد بن منصور و ابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم في الكنى، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٥٣١ ، تفسير الطبري ٥/ ٥٧٦.

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٣١-٥٣٢، تفسير الطبري ٥/ ٥٧٦- ٥٧٧.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦ ، المحرر الوجيز ١ / ١٥.

(٧) يـنظر الجـامع لأحكـام القـرآن ١ / ٢٦ ، المحـرر الوجيز ١ / ١٥ و ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ / ٦١٨ و عزاه لعبد بن حميد.

وقد أبان السلف رحمهم الله تعالى خطورة الجهل بمعاني القرآن وآثاره السيئة على من أعرض عن علمه وتفهم معانيه، فخاضوا فيه بآرائهم وحملوا معانيه وفق أهوائهم، فضلوا وأضلوا واختلفوا وافترقوا، روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال: «خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد عليّ ما قلت فأعاد عليه فعرف عمر قوله و أعجبه»[١]، وقال الحسن البصري «أهلكتم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعيا بوجوهها حتى يفتري على الله فيها»[٢].

فلا مساواة بين العالم والجاهل، يقول تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾،[٣] قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى: «إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار ، والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشيء ، وإغماض بعض المعاني، حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِن،[٤] وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس و سقطت المحنة و ماتت الخواطر».[٥]

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٤٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١ / ١٥.

(٣) سورة الزمر ، من الآية ٩.

(٤) اللقن:- السريع الفهم الذكي ، القاموس «لقن» ٤ / ٢٦٨.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٨٦.

وأعظم العلوم وأشرفها وأنفعها ما كان مرتبطاً بكلام الله عز وجل، فلا مقارنة بين من اشتغل بتفسير القرآن واعتنى بفهم معانيه ومعرفة أحكامه وبذل الجهد في ذلك، ومن أعرض عن هذا العلم الشريف وزهد في معرفته والعناية به، وإن كان يقرأ القرآن ويحافظ على حزبه من تلاوته، يقول إياس بن معاوية المزني: «مثل الذين يقرؤون القرآن و هم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً و ليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة، لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب».[١]

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «و ينبغى له أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده و ما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ و يعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل لقرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً»[٢].

فأشرف العلوم علم تفسير القرآن والبحث في معانيه ومعرفة أحكامه، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أجل ولا أعظم ولا أشرف من كلام الله سبحانه، يقول الإمام شهاب الدين محمود الآلوسي: «وأما بيان شرفه: فلأن شرف العلم بشرف موضوعه و شرف معلومه وغايته وشدة الاحتياج إليه، وهو حائز لجميعها، فإن موضوعه كلام الله تعالى ، وماذا عسى أن يقال فيه، و معلومه - مع أنه مراد الله تعالى الدال عليه كلامه - جامع للعقائد الحقة والأحكام الشرعية وغيرها، وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول إلى سعادة الدارين، وشدة الاحتياج إليه ظاهرة مما تقدم، بل هو رئيس جميع العلوم الدينية لكونها مأخوذة من الكتاب، و هي تحتاج من حيث الثبوت أو من حيث الاعتداد إلى علم التفسير»،[٣] وقال السيوطي: «صناعة التفسير قد حازت

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١ / ١٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢١.

(٣) ينظر: روح المعاني ١ / ٥.

الشرف من الجهات الثلاث، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد و لا تنقضي عجائبه، و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى و الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، و هي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى».(١)

وإن القارئ في سير سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى ليرى منهم عناية فائقة بتفسير القرآن وفهم معانيه والعلم بأحكامه، وكانوا يتحدثون بنعمة الله عليهم ومنته أن وفقهم للعلم بكتابه وفهم المراد منه، مع حرصهم على طلب المزيد من معارفه وعلومه والفقه بأحكامه ومسائله، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً و لساناً سؤولا»،(٢) وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه قال: «شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم بسهل نزلت أم بجبل»؛(٣) وروي مثل هذا عن غيره من الصحابة، كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى البخاري عنه أنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».(٤)

---

(١) ينظر: الإتقان ١ / ١١٩٥ - ١١٩٦.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٦٧ - ٦٨.

(٣) ينظر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٨، الإتقان ٢/ ١٢٢٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٧ برقم ٥٠٠٢، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل ابن مسعود وأمه ١٦/ ١٧.

ومما روي عن التابعين في هذا قول قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً »[١]، وعن مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى قال: «استفرغ علمي القرآن»، وفي رواية «استفرغ علمي التفسير»[٢].

وكانوا رحمهم الله تعالى يقدمون العلم بالقرآن والعناية بتفسيره وفهم أوامره ونواهيه والعلم بحلاله وحرامه على غيره من العلوم الأخرى، بل كانوا يقدمونه على الإكثار من حفظه و تلاوته، يحكي حال أصحاب نبينا ﷺ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيقول: «لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ، فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما آمره و لا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»،[٣] لذا فقد روي عنه أنه تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً شكراً لله.[٤]

و روي أيضاً عن ابنه عبد الله أنه مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها، وكان يقول: « كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»[٥]، وكيف يرزقون العمل به و هم جاهلون بأحكامه و معرفة أوامره

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين ١/ ٥٠٠.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، الإتقان ٤/ ١٧٦.

ونواهيه، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، يقول أنس رضي الله عنه: «كان الرجل إذا قرأ البقرة و آل عمران جل في أعيننا»[(١)].

وقد سار على هذا المنهج الراشد التابعون بإحسان، مما تلقوه عن مشايخهم ومعلميهم من الصحابة رضي الله عنهم، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: «كنا إذا تعلمنا عشر آيات لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهيها»[(٢)].

وإذا كان الإمام المقرئ خلف بن هشام البزار يعتب على أهل زمانه عدم العناية بفهم القرآن ومعرفة تفسيره فكيف الحال بمن بعدهم، يقول رحمه الله: «ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا، وذلك أنا رَوَينا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفظ البقرة في بضع عشرة سنة، فلما حفظها نحر جزوراً شكراً لله، و إن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرأ ثلث القرآن لا يسقط منه حرفاً، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا»[(٣)].

المطلب الثالث:علماء تفسير القرآن من الصحابة رضي الله عنهم

لم يكن الصحابة رضي الله تعالى عنهم على درجة واحدة في العلم بمعاني القرآن وتفسيره وفقه أحكامه، بل كانوا متفاوتين في الفهم والعلم، بل قد يشكل على أحدهم من معاني الآيات ما قد ظهر للآخر، وقد يفهم أحدهم من الآية معنىً صحيحاً خفي على صاحبه، وذلك راجع إلى تفاوتهم في قوة الفهم ودقة الاستنباط، ومعرفة ما أحاط بالقرآن حال نزوله، وسعة الإطلاع على لغة العرب والإلمام بغريبها وغير ذلك.

وقد حكى لنا تلاميذهم هذا التفاوت الذي رأوه في أفهامهم وعلومهم ،

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/ ٣٣١.
(٢) ينظر المصنف ٣/ ٣٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤.

وكذا الحال فيمن بعدهم، يقول مسروق: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، و الإخاذ يروي المائة، و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ»،[١] وقد اشتهر بالتفسير منهم جماعة، وكان لبعضهم مدارس لها تلاميذها وخصائصها ومناهجها، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه رحمه الله تعالى: «وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير و أمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، و علماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن ، و أخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب» [٢]، وقد عد السيوطي في كتابه الإتقان [٣] من اشتهر بالتفسير من الصحابة، الذين قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ وبما فتح الله عليهم عن طريق الاجتهاد حسب أدوات الفهم و العلم التي توفرت لهم، فسمي منهم الخلفاء الأربعة الراشدين وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبا موسى الأشعري وعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهم.

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير تفاوتوا قلة وكثرة.

---

(١) سبق تخريجه، و انظر: التفسير و المفسرون ١/ ٣٤ -٣٥ بتصرف.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/ ٣٤٧.
(٣) ينظر: الإتقان ٢/ ١٢٢٧.

و أشـهر الجمـيع اثـنان عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، اللذان كثر المروي عنهما في التفسير، والتف حولهما طلاب كثير أفادوا مـنهما العـلم بالكـتاب والسنة والفقه فيهما، لذا فقد كثر الثناء عليهما بذلك، يقول أبو موسى الأشعري: «لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهرنا، مـن أصحاب محمد ﷺ»[١] يعني: ابن مسعود، وعلل ذلك في رواية عنه بقوله: «إن كـان لـيؤذن له إذا حجبـنا، و يشهد إذا غبنا»[٢]، وقال أبو البختري سعيد بـن فـيروز الطـائي مولاهـم «قـالوا لعلي: أخبرنا عن ابن مسعود، فقال: علم القـرآن و السـنة ثـم انـتهى، وكفـى بذلك علماً»[٣]، و قال عقبه بن عامر: «ما أدري أحـداً أعـلم بمـا أنـزل عـلى محمد ﷺ من عبد الله، فقال أبو موسى: إن تقل ذلك، فإنه وكان يسمع حين لا نسمع، ويدخل حين لا ندخل».[٤]

أمـا ابـن عـباس فحـبر الأمة وترجمان القرآن، كثر الثناء عليه من الصحابة وطلابـه، كـان عمـر رضـي الله عنه يجلسه في مجالسه مع كبار الصحابة ويقربه ويدنـيه، وكـان يقـول فيه: «ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول»[٥]، وقـال سـعد ابـن أبي وقاص رضى الله عنه: «ما رأيت أحداً أحضر فهماً و لا ألـبّ لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس، لقد رأيت عمر يدعوه للمعضـلات ، فـيقول: قـد جاءت معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ١/ ١٢٩ ، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٤٣.
(٢) رواه مسـلم في صـحيحه -كـتاب فضـائل الصحابة -باب من فضائل عبد الله بن مسعود و أمه ١٦/ ١٥.
(٣) رواه الحـاكم في المستدرك ٣/ ٣١٨ و صححه و وافقه الذهبي ، و رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ١٢٩
(٤) ينظر: التفسير و المفسرون ١/ ٨٦
(٥) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٣١٨ ، مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٧ ، المستدرك ٣/ ٥٣٩ - ٥٤٠.

بدر من المهاجرين والأنصار»[١].

و قال طلحة بن عبيد الله التيمى: «لقد أعطي ابن عباس فهماً ولَقَناً وعلماً، ما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً»[٢]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس »[٣]، وقال تلميذه مجاهد: «كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه»[٤]، وقال طاووس: «ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس»[٥]، وقال أيضاً : «أدركت نحواً من خمسمائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه،لم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله»[٦]، وقال مسروق: «كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس»[٧].

وكانت مجالسه مجالس علم وفقه ولغة وشعر، ينهل منها من رام العلم، ويصدر عنها من طلب المعرفة في أي علم، ومن ذلك تفسير القرآن، حدث بذلك من رأى مجالسه وإقبال الناس عليها وإفادتهم منها، يقول عطاء: «ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع»[٨]، وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي: «كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم ما سبقه، وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب وتأويل، وما رأيت أحداً أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا بقضاء أبى بكر وعمر

---

(١) ينظر : الإتقان ٢/ ١٢٢٧.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٧.

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٦، تفسير الطبري ١/ ٩٠، المستدرك ٣/ ٥٣٧.

(٤) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٦، حلية الأولياء ١/ ٣١٦ ، المستدرك ٣/ ٥٣٥.

(٥) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٦ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٠.

(٦) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٧، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١ ، الإصابة ٢/ ٣٢٥

(٨) ينظر: الإصابة ٢/ ٣٣٢.

وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، و لا أعلم بما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل ويوماً المغازي ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب، و لا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً».[1]

و عن أبي صالح باذام مولى أم هانئ قال: «لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي:ضع لي وضوءاً، قال فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد(الله) منه فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت و الحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال:فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال إخوانكم، فخرجوا...»[2] الخ.

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٠ ، أسد الغابة ٣/ ١٨٨.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٣٢٠ -٣٢١.

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: «خطبنا ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت».(١)

وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما : «ابن عباس أعلم أمة محمد ﷺ بما نزل على محمد ﷺ».(٢)

ولم يكن العلم بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه مقصوراً على الرجال بل شاركهم في ذلك النساء، وممن اشتهر منهن بذلك عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، حدث بذلك ابن أختها عروة بن الزبير، وهو ممن أكثر الرواية عنها بقوله: «لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ولا بقضاء ولا بطب منها، فقلت لها: يا خالة الطب من أين علمته؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه»،(٣) وقد روت عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وحفظت من سنته ما خفي على بعض الصحابة، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً »(٤).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون في تعليم الناس تفسير كلام الله سبحانه ومعرفة معانيه عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله عز وجل، ويحمدون الله أن هداهم لذلك و أعانهم عليه، وهذا دليل على محبتهم الخير للناس ،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٢، حلية الأولياء ١/ ٣٢٢، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.

(٢) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٤٩ -٥٠، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨٣.

(٤) رواه الترمذي في سننه -كتاب المناقب - باب فضل عائشة رضي الله عنها ٥/ ٧٠٥ برقم ٣٨٨٣، وقال: "حسن صحيح".

وأعظمه وأنفعه العلم بكتاب الله عز و جل و تفسيره، عن عبد الله بن بريدة قال: «شتم رجلاً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: أما إنك تشتمني و في ثلاث خلال: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح و علي ألا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح به و ما لي به سائمة، و إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».(١)

وقد حرصوا رحمهم الله تعالى على بيان ما أشكل على طلابهم وغيرهم من فهم بعض الآيات و إيضاح ما خفي عليهم من معانيها، وبيان ما تدل عليه الآية وغيرها مما يشبهها، ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير أن رجلاً (٢) قال لابن عباس رضي الله عنهما: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٣) ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾.(٤)

﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾،(٥) ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾،(٦) فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾، إلى قوله: ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾،(٧) فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبى عبيد ٤٥ ، حلية الأولياء ١/ ٣٢٢ ، مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٤.
(٢) رجح الحافظ في الفتح ٨/ ٥٥٧ أنه نافع بن الأزرق.
(٣) سورة المؤمنون، من الآية ١٠١.
(٤) سورة الصافات، الآية ٢٧ ، سورة الطور الآية ٢٥.
(٥) سورة النساء، من الآية ٤٢.
(٦) سورة الأنعام، من الآية ٢٣.
(٧) سورة النازعات، من الآيات ٢٧-٣٠.

ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله:﴿**طائعين**﴾[١]، فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، و قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢] ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣] ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٤]، فكأنه كان ثم مضى.

فقال رضي الله عنه: :﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون،ثم في النفخة الآخرة: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾، وأما قوله ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون تعالوا نقول:لم نكن مشركين، فخُتِم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يُكتم حديثاً، وعنده ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾الآية، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿ دَحَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي: لم يزل كذلك،فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله»[٥].

ومن الأمثلة أيضاً أن رجلاً جاء إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: «يا أبا المنذر آية في القرآن قد أغمتني، قال: أيّ آية؟ قال: ﴿ من

(١) سورة فصلت الآيات ٩-١١.
(٢) سورة النساء، من الآية ٩٦ و غير ذلك.
(٣) سورة النساء، من الآية ٥٦ و غير ذلك.
(٤) سورة النساء، من الآية ٥٨ و غير ذلك.
(٥) رواه البخاري في صحيحه -كتاب التفسير -تفسير سورة فصلت ٨/ ٥٥٥-٥٥٦.

يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[١]، قال: ذاك العبد المؤمن ما أصابته من نكبة مصيبة فيصبر، فيلقى الله تعالى فلا ذنب له»[٢] ويقول أبو العالية «كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم»[٣] .

المطلب الرابع: علماء التفسيربعد الصحابة رضي الله عنهم وعنايتهم به

حمل الراية بعد الصحابة تلاميذهم من التابعين لهم بإحسان، بعد أن تلقوا العلم على أيديهم بطول الملازمة والصبر على التحصيل وبذل الجهد وتحمل المشاق فيه والرحلة من أجله، إلى غير ذلك من صور حرصهم رحمهم الله تعالى على طلب العلم وروايته وشرف التتلمذ على أيدي الصحابة رضي الله عنهم، الذين أقبلوا عليهم وأفادوهم العلم بالقرآن والسنة، وجعلوا أوقاتهم مبذولة للعلم وأهله رخيصة من أجله، مع الصبر والتحمل على تعليمهم، يقول أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصرى: «جاورت ابن عباس اثنتي عشرة سنة في داره، وما من القرآن آية إلا وقد سألته عنها، وكان رسولي يختلف إلى أم المؤمنين - يعني عائشة - غدوة و عشية»، ويقول الإمام المفسر مجاهد بن جبر: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة»، وفي رواية قال: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت و كيف كانت ؟»، و عن ابن أبي مليكه قال: «رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»[٤]، قال بعض المتأخرين: «ولا تعارض بين هذه الروايات، فإن الإخبار بالقليل لا ينافي الإخبار بالكثير، ولعله عرض القرآن على ابن عباس

(١) سورة النساء من الآية ١٢٣.
(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٥٤ ، تفسير الطبري ٩/ ٢٣٦، الدر المنثور ٢/ ٤٠٢.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٩.
(٤) سبق تخريج هذه الآثار.

ثلاثين مرة لتمام الضبط ودقة التجويد وحسن الأداء، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلباً للتفسير ومعرفة ما دق من معانيه وما أشكل عليه»[١].

ومن صور ملازمتهم مجالس الصحابة طلباً للعلم والإفادة منهم ما جاء في سيرة الإمام المفسر عكرمة مولى ابن عباس الذي لازمه مدة حياته، وحدث عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، يقول رحمه الله تعالى: «أدركت مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد» يعني: المسجد النبوي، وقال أيضاً: «كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل. ويعلمني القرآن والسنن»،[٢] وقال أيضاً: «طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار»[٣]، ولا غرو أن ملازمته مولاه ابن عباس ينهل من معينه الفياض ويأخذ عنه العلم والتفسير جعلته بعد توفيق الله عز وجل إماماً في التفسير والعلم بأحكام القرآن، يقول عبد الرحمن ابن أبي حاتم: «سئل أبي عن عكرمة وسعيد بن جبير أيها أعلم بالتفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة»[٤]، وقال الشعبي: «مابقي أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة»[٥]، وقال قتادة: «أعلمهم بالتفسير عكرمة»[٦].

وممن لازم ابن عباس فأكثر، وقرأ عليه القرآن فجوّد سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، قال رحمه الله تعالى: «كنت أسمع الحديث من ابن

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٠٤.

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: الجرح و التعديل ٧/ ٩.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٧.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٧.

عباس فلو أذن لي لقبلت رأسه»[١]، فورث عنه العلم بالقرآن والسنة،وكان يقول: «من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي»[٢]، وقد كثر ثناء الأئمة عليه ومنهم شيخه، وتلك تزكية عالية وشهادة رفيعة، كان يقول لأهل الكوفة إذا أتوه يسألونه عن شيء: «أليس فيكم ابن أم الدهماء»،[٣] يعني: سعيد بن جبير، ولم تكن معرفته مقتصرة على علم معين بل شملت معارف وعلوماً عدة، قال خصيف بن عبد الرحمن الجزري الحراني «كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير»[٤].

وكذا كان تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معه، لازموه وتتلمذوا على يديه، فنهلوا من علمه وأفادوا من معارفه، فاشتهر منهم أئمة أعلام تكلموا في تفسير القرآن ووضحوا لمعاصريهم معانيه وبينوا لهم أحكامه، منهم علقمة بن قيس، مقرئ الكوفة وعالمها، لازم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فرأس في العلم والعمل، وكان شيخه ابن مسعود يعرف ذلك له ويجله لأجله، وقد مر بنا ثناؤه على قراءته لحسن صوته، وكان يقول: «ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه »[٥]، ومنهم الإمام المفسر مسروق بن الأجدع الهمداني، لازم ابن مسعود واستفاد منه الكثير وبخاصة في التفسير، حدث عن ذلك بقوله: «كان عبدالله - يعني ابن مسعود - يقرأ علينا السورة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٨١.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٥.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤١.

(٥) سبق تخريجه.

ثـم يحدثـنا فـيها و يفسـرها عامـة النهار»[١]، وكان يفضله على بقية الصحابة لعـلمه وسعة معارفه، بقوله: «جالست أصحاب النبي ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، فالإخـاذ يـروي الـرجل، والإخـاذ يـروي الـرجلين والإخـاذ يـروي العشرة، والإخـاذ يـروي المائـة، والإخـاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عـبد الله مـن ذلك الإخاذ»[٢]، وقد كثر ثناء الأئمة عليه بذلك، يقول علي بن عـبد الله بن المديني: «ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله أحداً»[٣]، وقال سفيان بن عيينة الكوفي: «بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد».[٤]

وبالجملـة فقد كثر الثناء على طلاب ابن مسعود الذين لازموه وأفادوا منه العـلم بالقـرآن والسنة، وبذلوا جهودهم وأشغلوا أزمانهم في طلب العلم على يديـه والتحصـيل مـنه، يقـول الشـعبي رحمه الله تعالى: «ما رأيت قوماً قط أكثر عـلماً ولا أعظـم حـلماً ولا أكـف عـن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سـبقهم بـه الصـحابة مـا قدمـنا عليهم أحداً»، وفي رواية قال: «ما رأيت قوماً أعظـم أحلامـاً ولا أكـثر فقهاً ولا أكره لهذه الدنيا من قوم صحبوا عبد الله بن مسعود، ولولا الصحابة ما فضلت عليهم أحداً».[٥]

المطلب الخامس: من صور اجتهاد السلف في معرفة تفسير القرآن والعلم بأحكامه

حـرص سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى على طلب تفسير القرآن والكشف عما أشكل عليهم والفقه بأحكامه، وصور ذلك في سيرهم العطرة كثيرة، فمن ذلـك رحلـتهم مـن أجلـه، مـع طول الطريق ومشقته وما حف به - في تلك

(١) رواه الطبري في تفسيره ١ / ٨١.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ١١١.
(٤) ينظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٦٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ١١٠.
(٥) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠.

الأزمنة - من مخاطر ومخاوف، وقد نهج على هذا الصحابة والتابعون لهم بإحسان رحم الله الجميع.

يقول عبد الله بن مسعود : «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(١)

وقال أبو الدرداء عويمر بن مالك رضي الله عنه: «لو أعيتني آية من كتاب الله عزوجل،فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجلاً ببرك (٢)الغماد لرحلت إليه»(٣).

وقال الشعبي رحمه الله تعالى: «خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية فلم يجد عنده فيها علماً، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم عليه ههنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها»(٤)، وكان يقول: «ما علمت أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق» (٥).

وروى عن مجاهد قال: «لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل، قوله:﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾(٦) إلى آخر الآية»(٧).

وقال أيوب بن أبى تميمة السختياني: « كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة ، إلى أفق من الآفاق، فإني لفي سوق البصرة إذ قيل لي: هذا عكرمة ، قال: واجتمع الناس إليه فقمت إليه، فما قدرت على شيء أسأله عنه، ذهبت المسائل عني،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق بيانه.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٤ - ٤٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٢.

(٤) ينظر:حلية الأولياء ٢ / ٩٥ ، المحرر الوجيز ١ / ١٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٢ / ٩٥.

(٦) سورة النساء ، من الآية ٢٤.

(٧) رواه الطبري في تفسيره ٨ / ١٦٥ ، وانظر: الدر المنثور ٢ / ٢٤٨.

فقمت إلى جنب حماره، قال: فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ»[١].

وممن رحل في طلب تفسير القرآن والفقه بأحكامه وغير ذلك عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج شيخ الحرم الإمام المفسر، فقد طوف في كثير من البلاد ، رحل إلى البصرة وبغداد واليمن ثم لازم عطاء بن أبي رباح بمكة، فروى عنه الكثير في التفسير، ولازمه حتى أتقن على يديه وجود، يسافر والده ويقيم عنده، مغتنماً حياة شيخه المباركة بعلمي الكتاب والسنة، قال رحمه الله تعالى: «أقمت على عطاء إحدى وعشرين حجة - أي سنه - يخرج أبواي إلى الطائف وأقيم أنا، تخوفاً أن يفجعني عطاء بنفسه »[٢] أي: بموته.

ولم يكن لاجتهادهم رحمهم الله تعالى حد في التحصيل والطلب إلا الموت، فلا يزال أحدهم يطلب العلم ويحضر مجالس أهله ويقرأ في كتبهم حتى يلقى الله عز وجل، يقول مطر الوراق: «مازال قتادة متعلماً حتى مات»[٣].

ومن صور عنايتهم بتفسير القرآن وفهم معانيه والعلم بأحكامه إكرامهم أهل العلم بذلك وإجلال الأئمة فيه، وهم بهذا الصنيع يشحذون الهمم ويقوون العزائم لطلب هذا العلم والتفاني في تحصيله والإقبال عليه بالكلية، وأوضح مثال على ذلك إكرام عمر ابن عباس رضي الله عنهما مع حداثة سنه، وإدخاله مع الأشياخ في مجلسه، حتى قيل له في ذلك، روى البخاري عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال ما تقولون في قوله: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢ / ٣٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٧٥.

نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾، وذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»[1]، وعنه قال: «لا يلومني أحد على حب ابن عباس»[2].

و من صور حرصهم على تعلم تفسير القرآن و الحث على معرفة أحكامه تعظيم هذا العلم وإجلاله وجعله مقدماً على العلوم كلها ، فلا يكون أحد عالماً فقيهاً إماماً حتى يعتني به ويقبل عليه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، و لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها»[3]، و قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إنك لا تفقه الفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً »[4].

ثم إنه لا يتأتى لشخص أن يفتي في مسألة أو يحكم في قضية وهو يجهل تفسير القرآن ولا يعرف أحكامه وعلومه المرتبطة به، وهذا يستوجب معرفتها والعناية بها، روى محمد بن سيرين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله: «إنما يفتي الناس أحد ثلاثة، من يعلم ما نسخ من القرآن، قالوا: ومن يعلم ما نسخ من القرآن؟ قال: عمر، أو أمير لا يجد بداً أو أحمق متكلف، ثم قال ابن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب تفسير قوله: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ ٨ / ٧٣٤ - ٧٣٥، برقم ٤٩٧٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٦ ، فتح الباري ٨ / ٧٣٦.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ١ / ٧٧.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢١١.

سيرين: و لست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث»[١].

فعلم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم من العلوم المهمة الجديرة بالدراسة والمعرفة، لا يحل لأحد أن يفسر كلام الله عز وجل ولا أن يفتي للناس أو يعلم أحكام الشريعة حتى يعلمه ويتقنه، قال علي رضي الله عنه لقاص: «أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال هلكت و أهلكت»[٢]، ولذلك قال أهل العلم: «لا يحل لأحد أن يفسر كلام الله ويفتي به حتى يعرف منه الناسخ والمنسوخ»[٣]، وهذا تنبيه على أحد علوم القرآن وبيان أهميته، ومثله القول في وجوب العناية بعلومه الأخرى.

وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يتواصون بهذا ويناصح بعضهم بعضاً من أجل العناية والاهتمام به، فمن وصايا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لأبي الشعثاء جابر بن زيد - وقد لقيه في الطواف - قوله: «يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستستفتى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت»[٤].

وكانوا رحمهم الله تعالى يتحسرون ويتألمون على ما قد يفوتهم من علومه أوما يجهلونه من فهم معانيه وأمثاله، فعن عمرو بن مرة قال: «إني لأمر بالمثل من كتاب الله عز وجل ولا أعرفه فأغتم به، لقول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٥]»[٦]، وعن سليم بن رستم

---

(١) رواه الدارمي في سننه، باب الفتيا ١/ ٦٢ ، وانظر: نواسخ القرآن ١٠٩، الناسخ و المنسوخ ١ / ٤١٥.

(٢) ينظر: نواسخ القرآن ١٠٥ ، الناسخ و المنسوخ ١/ ٤١٠.

(٣) حكاه عنهم السيوطي في الإتقان ٢/ ٧٠٠.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ٨٦

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٣

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٢، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٤.

قال: «كنت أقرأ على عمرو بن مرة -يعني القرآن- فكنت أسمعه كثيراً ما يقول: اللهم اجعلني ممن يعقل عنك»، وروى عنه سفيان بن عيينة أنه كان يقول: «أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾»(١).

وقد حرصوا أيضاً على تعلم كل ما يعينهم على فهم القرآن ومعرفة تفسيره، ومن ذلك لغة العرب، من حيث غريبها وأساليبها، وقواعدها وسننها في الكلام، وطرائقها وعاداتها في الخطاب والتعبير، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، والعلم بذلك معين على فهم القرآن ومعرفة معانيه.

قال الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: «واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين»(٢)، أي: والمراد المعنى الآخر.

وقال عبد الحق بن غالب بن عطية: «إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع»(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل عليه مراد الله ورسوله ﷺ من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله تعالى ورسوله ﷺ بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني»(٤).

وقال أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: «ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم

---

(١) ينظر لهما: حلية الأولياء ٥/ ٩٥.

(٢) ينظر: البرهان ٢ / ١٦٥

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٤.

(٤) ينظر: الإيمان ١١١.

اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان»[١].

فمن أسباب نبوغ ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير علمه الواسع بلغة العرب وحفظ غريبها وأشعارها ومعرفة أساليبها، قال رضي الله عنه: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»[٢]، وقال أيضاً: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[٣].

وفي الأمر بتعلم العربية والحث على ذلك والتحذير من التهاون بتعلمها والجهل بها وبيان آثاره السيئة روي عن السلف عدة أقوال، منها قول عمر رضي الله عنه: «عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العبارة»[٤]، وقال أيضاً: «تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه»[٥]،وعن يحي بن عتيق الطفاوي قال: «قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال: حسن يا ابن أخي فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها»[٦]، وقال الإمام مالك بن أنس: «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً»[٧].

وقد اشتهر من الأئمة القراء من كانت له عناية بلغة العرب وتوسع في

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ٧.

(٢) ينظر: الإتقان ١/ ٣٨٢.

(٣) ينظر: الإتقان ١/ ٣٨٢.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩، مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١١٦.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩، مصنف ابن أبي شيبة عن أبي بن كعب ٦/ ١١٦.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩-٢١٠، الإتقان ١/ ١٧٩.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٦٠، الإتقان ١/ ٥٧٥.

معرفة غريبها وقواعدها وأصولها وأساليبها، كأبي عمرو زبان بن العلاء التميمي، يقول عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى: «كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب»(١)، ومنهم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الأسدي مولاهم الكوفي، يقول أبو بكر ابن الأنباري: «اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب، وأوحدهم في علم القرآن»(٢).

ثم جلسوا بعد ذلك يعلمون الناس تفسير القرآن ويبينون لهم معانيه ويجيبون عما أشكل عليهم من فهم آياته، أداء للأمانة التي تحملوها ونصحاً للأمة بتعليم معاني كلام الله عز وجل ومراده منه، مما فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وهو أيضاً من محبة الخير لغيرهم مما أفاء الله عليهم به، وزكاة لما تعلموه وتلقوه، فعن عبد الله بن بريدة قال: «شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أما إنك تشتمني وفي ثلاث خلال، إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح وعلي ألا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به سائمة، وإني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»(٣).

ولعلهم بصدق نيتهم في طلب العلم نفع الله بهم الناس، قال الوليد بن مسلم الدمشقي: «سألت الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج لمن طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير ابن جريج فإنه قال: طلبته للناس»(٤).

وبتعليم الناس تفسير كلام الله عز وجل وبيان معناه كان الثناء على أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال العجلي في مسروق أحد

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٨، معرفة القراء الكبار ٦٠.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٢، معرفة القراء الكبار ٧٤، غاية النهاية ١/ ٥٣٨.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٨.

تلاميذ ابن مسعود: «كان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون»[١]، وقال إبراهيم النخعي: «كان أصحاب عبد الله الذين يفتون ويقرئون القرآن علقمة بن قيس ومسروق وعبيدة السلماني وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس»[٢]، قدوتهم في ذلك شيخهم ومعلمهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي ذكر مسروق أنه كان يقرأ عليهم السورة ثم يحدثهم فيها ويفسرها عامة النهار[٣].

المطلب السادس: تحرجهم من التفسير بلا علم

مع اجتهاد سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وعنايتهم بفهم كلام الله عز وجل والعلم بأحكامه وتفسير آياته، تعلماً وتعليماً، تأليفاً وتصنيفاً فقد كانوا يعظمون القول في تفسيره ويتحرجون من الخوض في آياته بلا علم،وينكرون على من تجاوز ذلك وأقحم عقله بلا دليل، يتلقى هذا المنهج اللاحق عن السابق، فعن ابن أبي مليكة: «أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها»[٤]، وعن يزيد بن أبي يزيد الضبعي قال: «كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع»[٥]، وكان يقول إذا سئل عن تفسير آية من القرآن: «إنا لا نقول في القرآن شيئاً»[٦]، وعن هشام بن عروة بن الزبير قال: «ما سمعت أبي يتناول آية من كتاب الله

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ١١١.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٥.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/ ٣٧٢.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٦.
(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٨، تفسير الطبري ١/ ٨٥،مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٧٣.

قط»[١]، وعن محمد بن سيرين قال: «سألت عبيدة -بن عمرو السلماني - عن شيء من القرآن، فقال: اتق الله وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنـزل القرآن»[٢]، وعن مسروق قال: «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله»[٣]، وقـد كـان عـلى هـذه الطريقة جماعة من فقهاء المدينة، يقول عبيد الله بن عمر المدنـي: «لقـد أدركـت فقهـاء المديـنة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبيد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع»[٤].

ويحكي هذا المنهج النخعي عن أصحاب ابن مسعود بقوله: «كان أصحابنا يكـرهون تفسـير القـرآن ويهابونـه»[٥]، وحكاه الشعبي أيضاً عن أصحاب ابن مسـعود وعلـي بقولـه: «أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي وليس هم لشـيء مـن العـلم أكـره منهم لتفسير القرآن»[٦]، وعن الشعبي قال: «ثلاث لا أقـول فـيهن حـتى الموت: القرآن والروح والرأي»[٧]، وعنه قال: «والله ما من آيـة إلا سـألت عـنها ولكـنها الـرواية عـن الله»[٨]، وكان يمر بأبي صالح باذام فيأخذ بإذنه فيعركها ويقول: «تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن»[٩].

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن نقل جملة من

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٧٤.
(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩، تفسير الطبري، ١/ ٨٦ ، المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٣٥.
(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٥، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٤٧٣-٤٧٤.
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٧٤.
(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٦.
(٧) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٧.
(٨) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٨٧، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٧٤.
(٩) ينظر: تفسير الطبري١/ ٩١، تهذيب التهذيب ١/ ٤١٧.

أقوالهم عن ذلك بأن تحرجهم من تفسير القرآن والقول فيه محمول على مالا علم لهم به، أما ما علموه فقد بينوه وعلموه غيرهم، أداءً لأمانة العلم ونصحاً للأمة، قال رحمه الله تعالى: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعمله، لقوله تعالى:﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[1]، ولما جاء في الحديث المروي من طرق : «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[2]»[3].

وقد يكون تركهم القول في تفسير القرآن تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، يقول ابن عطية: «كان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه، تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك، رضي الله عنهم»[4].

ويمكن أن يقال بأن إحجام من أحجم عن تفسير بعض آي القرآن أنه لم

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٨٧.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ٢٦٣، وأبو داود في سننه - كتاب العلم - باب كراهية منع العلم ٣/ ٣٢١، برقم ٣٦٥٨، والترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما جاء في كتمان العلم ٥ / ٢٩، برقم ٢٦٤٩، وقال : « حديث حسن»، وابن ماجة في سننه - المقدمة برقم ٢٦١، ١ / ١٠١-١٠٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ١٠١-١٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٨.

تكن تتعين عليه الإجابة لوجود من يقوم عنه بتفسير القرآن وإجابة السائل عما أشكل عليه، وقد كان بعضهم يرى أن التفسير شهادة على الله بأنه عنى باللفظ كذا وكذا، فأمسكوا عنه خشية ألا يوافقوا مراد الله عز وجل.[١]

أما تفسير القرآن بالرأي المحض الذي لا يقوم عليه دليل وليس له برهان فمردود عندهم، لا يفسرون كلام الله به ويحذرون من وقع في ذلك وينكرون عليه، عن إبراهيم التيمي «أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾،[٢] فقال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم»[٣].

وكانوا بهذا قدوة لغيرهم فلا يقولون في تفسير القرآن إلا بعلم، وما جهلوه سكتوا عنه فلم يخوضوا فيه، يقول ابن أبي مليكة: «سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٤]، فقال له ابن عباس: فما ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾؟[٥] فقال الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس: «هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله مالا يعلم»[٦]، وعن عمرو بن مرة قال: «قال رجل لسعيد بن جبير: أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فلم يقل فيها شيئاً؟ فقال سعيد: كان لا يعلمها»[٧].

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٢٦١.

(٢) سورة عبس، الآية ٣١.

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٦/ ١٣٦، والطبري في تفسيره ١/ ٧٨.

(٤) سورة السجدة، من الآية ٥.

(٥) سورة المعارج، من الآية ٤.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٨، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٧) رواه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٥، وانظر: الدر المنثور ٢/ ٢٤٨.

وقد سار على هذا المنهج التابعون ومن بعدهم بإحسان رحمهم الله جميعاً، روي عن ابنٍ لمجاهد قوله: «قال رجل لأبي أنت الذي بتفسير القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: إني إذاً لجريء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين»(١)، وعن عبد العزيز بن رفيع قال: «سئل عطاء عن مسألة، فقال:لا أدري، فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟ قال: إني أستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي»(٢).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»(٣)، وعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»(٤)... ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير مالا علم لهم به»(٥).

وأختم هذا المبحث بما ذكره الإمام الزركشي من حاجة المفسر إلى التدبر والتأمل في الآيات بعد إزالة الموانع وقطع الشواغل والعوارض، حيث يقول: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٢.

(٣) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٣٣، والترمذي في سننه- كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٥/ ١٩٩، برقم ٢٩٥٠، وقال «حسن صحيح»، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٥٩، وضعيف الجامع الصغير برقم ٥٧٣٧.

(٤) رواه أبو داود في سننه -كتاب العلم - باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٣/ ٣٢٠، برقم ٣٦٥٢، والترمذي في سننه -كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، برقم ٢٩٥٢، ٥/ ٢٠٠، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٦٠، والمشكاة ٢٣٥.

(٥) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/ ٣٧٠-٣٧١.

معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها آكد من بعض.

وإذا كان العبد مصغياً إلى كلام ربه، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظراً إلى قدرته، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئاً من حوله وقوته، معظماً للمتكلم، مفتقراً إلى التفهم، بحال مستقيم وقلب سليم، وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي هذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾»[1]، وهذا هو الراسخ في العلم، جعلنا الله من هذا الصنف»[2].

* * *

(١) سورة البقرة، من الآية ١٢١.

(٢) ينظر: البرهان ٢/ ١٩٧ بتصرف يسير.

المبحث الثامن
بيانهم نعوت أهل القرآن وعنايتهم بتحقيقها

المطلب الأول: امتثال النبي ﷺ مادل عليه القرآن وتأثره به

إن لأهل القرآن وحملته المعتنين به حفظاً وتلاوة، تعلماً وتعليماً، فهماً لآياته ومعرفة بأحكامه هدياً وسمتاً تميزوا به عن غيرهم من آحاد الناس، لما تحملوه من شرف العناية بالقرآن الكريم وصرف الأوقات وبذل الجهود من أجله، فهم أولى الخلق بالخشية والتأثر وإصلاح الظاهر والباطن والتمسك بالسنة والحذر من البدعة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة والشمائل الكريمة والخصال الحميدة، والبعد عن كل خلق ذميم ووصف مشين وحال سيئة، رعاية لحق القرآن وإكراماً لكلام الله وتوقيراً واحتراماً له، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله عز وجل القرآن»[١].

وخير المتحلين بخلق القرآن المتأدبين بأدبه نبينا وقدوتنا محمد ﷺ كما أثنى عليه ربنا جل وعلا ووصفه به، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]، فهذا من أدلة عظيم قدره ورفعة منزلته عنده عز وجل، حيث شهد له بذلك سبحانه وأثنى به عليه، وانفرد هو ﷺ بهذا الثناء العظيم والمدح الجليل من الله عز وجل، حيث لا يعرف لغيره مثل هذا الثناء والتبجيل.

وقد بينت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف كان خلقه ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال: «يا أم المؤمنين أنبئيني عن

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥١.
(٢) سورة القلم، الآية ٤.

خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[١]، وفي رواية عنها قالت: «**كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه»**[٢].

قال الإمام النووي: «معناه: العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته»[٣]، وقال شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي: «أي: كان ﷺ متمسكاً بأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها، فيرضى بكل ما يرضي الله، ويسخط كل مالا يرضاه، كل ذلك لله لا لحظ نفسه»[٤]، وقال الحافظ ابن كثير في معنى الآية: «معنى هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له، وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه تركه، هذا مع ما جبله الله تعالى عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته، وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً»**[٥]...»[٦].

فقد كان ﷺ متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال وجميل الشمائل، متخلياً عما يزجر عنه القرآن من مساوئ الفعال وقبيح

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٦/ ٢٦.

(٢) ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٢٤٣، وعزاها لابن المنذر وابن مردويه وغيرهما.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٦.

(٤) نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض ١/ ٤٨١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب حسن خلقه ﷺ ١٥/ ٦٩ بنحوه.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٢.

الخلال ومرذول الأخلاق.

وهذا من فضل الله عليه وتوفيقه له، فهو الذي رفع قدره وأعلى منزلته، فشرفه بالرسالة والنبوة وخصه من فضله وكرمه وجوده ما لم يعطه أحداً من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[(١)]، ولم يزده هذا الثناء العظيم والمدح الجليل من الله سبحانه إلا جمالاً وبهاءً وتواضعاً وأخلاقاً على حسن الخلق، ولم يكن كحال البشر الذين إذا مدحوا وأثني عليهم زادهم ذلك كبراً وأشراً وبطراً، أو أنهم لم يقوموا بمقتضى هذا الثناء والإطراء.

ونبينا ﷺ كان موصوفاً بحسن الخلق قبل بعثته وازداد كمالاً في الأخلاق ورقياً في مراتب الإحسان بعد البعثة ونزول القرآن عليه، حتى صار امتثاله للقرآن والتزامه خلقه وأدبه أكبر دليل على صدق نبوته ورسالته، وخير شاهد على عظمته وفضله، وأعظم سبب في إقبال القلوب والنفوس عليه للاقتداء بهديه والتمسك بسنته والسير على نهجه، في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما رآه أول مرة قال: «**فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب**» رواه أحمد والترمذي وغيرهما.[(٢)]

وكان مما دعا ﷺ إليه معلياً قدره ومبيناً شرفه ومؤكداً أهميته حسن الخلق وامتثاله، مما دل عليه القرآن الكريم وسنته المطهرة، قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» رواه مالك وأحمد وغيرهما[(٣)]، فقد حصر ﷺ مهمة بعثته الشريفة لإتمام مكارم الأخلاق، ليثبت عظمة مكارم الأخلاق وعلو مقامها

---

(١) سورة النساء، من الآية ١١٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٤٥١، والترمذي في سننه -كتاب القيامة- باب ٤٢ برقم ٢٤٨٥، ٤/ ٦٥٢، وقال: «حديث صحيح».

(٣) رواه مالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق- باب ما جاء في حسن الخلق ٢/ ٩٠٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٤٦٤ برقم ٢٣٤٩.

والاهتمام بها في هذا الدين.

المطلب الثاني: بيان السلف نعوت أهل القرآن وعنايتهم بتحقيقها

سار على نهج نبينا ﷺ سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، حيث أبانوا نعوت أهل القرآن وصفات حملته والواجب عليهم تجاهه، ودعوا إلى العمل به والتحلي بأخلاقه والتزام طريقته والسير على هديه، وبهذا يكون لهم هدي وسمت ليس لغيرهم ممن أعرض عن القرآن، به يُعرفون وعن طريقه يتميزون ويرتفعون، ومما روي عنهم في ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون»[(١)]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، وقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يجهل فيمن يجهل وفي جوفه كلام الله عز وجل»، وفي رواية «ولا ينبغي أن يلعب مع من يلعب، ولا يرفث مع من يرفث، ولا يبتطل مع من يبتطل، ولا يجهل مع من يجهل»[(٢)].

فمن نعوت حملة القرآن والواجب عليهم -كما دلت عليه أحوال السلف وأقوالهم- الإكثار من تلاوته والتزود من قراءته، لما في ذلك من الثواب العظيم، والأجر الجزيل المضاعف، وقد سبق بيان ذلك، فكانوا يحافظون على قراءة حزبهم منه، ويقضون ما فاتهم منه ولا يفوتونه، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أنه كان في الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من بني مالك، فأنزلهم في قبة له في المسجد أو قال: بين المسجد وبين أهله،

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥٢، وأحمد في الزهد ٢٣٦، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٠.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٢.

قال: «فكان يأتينا فيحدثنا بعد العشاء وهو قائم، يراوح بين قدميه من طول القيام قال: فاحتبس علينا ليلة، فقلنا: يا رسول الله لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث، فقال: نعم، طرأ علي حزبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه»، وفي رواية: «فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ: إنه قد حدثنا أنه قد طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين (ق) فأسفل»(١)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»(٢)، وعنه رضي الله عنه قال: «من فاته حزبه من الليل فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر فكأنه لم يفته، أو كأنه أدركه»(٣).

وكانوا يقرنون القول بالعمل ويلازمون ما دعوا إليه الناس من تلاوة القرآن والمحافظة على حزبهم منه أو يقضونه إن لم يتيسر لهم أداؤه في حينه، يقول ﷺ: «إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل»(٤)، والأمثلة على هذا في سيرهم كثيرة، يقول عبد الرحمن بن عبدٍ القارئ: «استأذنت على عمر بالهاجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي وقال: إني كنت في قضاء وردي»، وعن

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ٩، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة- باب تحزيب القرآن ٢/ ٥٥ برقم ١٣٩٣، وابن ماجة في سننه - أبواب إقامة الصلاة- باب ما جاء في كم يستحب يختم القرآن ١/ ٢٤٤ برقم ١٣٣٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٦/ ٢٩.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس- باب الجلوس على الحصير ونحوه ١٠/ ٣١٤ برقم ٥٨٦١ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه - كتاب الصيام - باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان ٨/ ٣٨.

خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال: «دخلت على عبد الله بن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: هذا حزبي الذي أقرأ به الليلة»(١)، وعن عقبة ابن عامر قال: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها»(٢)، وعن بكار بن محمد السيريني قال: «كان لعبد الله بن عون سبع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار»، وبهذا كان يوصي إخوانه وطلابه حيث يقول: «أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثاً، هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة والكف عن أعراض المسلمين»(٣)، ويؤكد عبيد بن عمير الليثي هذا الأمر بقوله: «كان يقال لأهل القرآن إذا جاء الشتاء: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عز وجل»(٤)، ويحكي إبراهيم النخعي حال سلفنا الصالح في ازديادهم من تلاوة القرآن والمحافظة على حزبهم منه فيقول: «كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى، قال: وربما زاد أحدهم»(٥)، وكانوا يجدون في إقبالهم على تلاوة كتاب الله عز وجل لذة وسعادة وراحة وطمأنينة،كما قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٦)، يقول أبو زيد معضد العجلي: «لولا ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً»(٧).

---

(١) سبق تخريج هذه الآثار.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ٩٤.

(٣) ينظر: لما سبق: حلية الأولياء ٣/ ٤١.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ٢٦٧.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سورة الرعد / الآية ٢٨.

(٧) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦١، حلية الأولياء ٤/ ١٥٩، واليعسوب: أمير النحل، وقيل: طائر أصغر من الجرادة، ينظر: القاموس «عسب» ١/ ١٠٤

ثم إن الواجب على أهل القرآن بخاصة والناس بعامة العناية بفهم معانيه والعلم بأحكامه، وتدبر آياته والوقوف على هداياته ودلالاته، قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1]، فأهل القرآن حقاً هم أعلم الناس بما دل عليه من الهدى والرشاد، وما تضمنه من شرائع وأحكام، يقول الحسن البصري رحمه الله: «الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، ثم قال: رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»[2]، وهذا هو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة، يقول عمر رضي الله عنه: «لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»[3] ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»، وأخذ هذا المنهج اللاحق عن السابق منهم، يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن

---

(١) سورة (ص) الآية ٢٩.

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٢٠.

(٣) سبق تخريجه.

والعلم والعمل جميعاً»[١].

ومن نعوت أهل القرآن والواجب عليهم وعلى غيرهم اتباعه والعمل بما فيه، امتثالاً لأوامره وحذراً من زواجره، تحاكماً إليه وسيراً على طريقه والتزاماً لمنهجه، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[٢]، أي: يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله، وروي هذا عن جملة من السلف،[٣] وبه فسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[٤].

ولا ريب أن من يقرأ القرآن ولا يعمل بمقتضاه امتثالاً لأوامره وبعداً عن نواهيه وتطبيقاً لأحكامه والتزاماً بمنهجه يكون شأنه شأن اليهود الذين أبان الله لنا حالهم مع التوراة، وشبه موقفهم منها وتعاملهم معها في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فقاس سبحانه من حَمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلاّ، فحظه من كتاب الله عز وجل كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك

---

(١) سبق تخريجه والذي قبله.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٢١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة النساء، الآيتان ١٧٤-١٧٥.

(٥) سورة الجمعة، الآية ٥.

العمل به ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته»[١].

وإذا أمعنا النظر في قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[٢]، اتضح لنا أن الحديث يرغب في تلاوة القرآن الكريم والاجتماع على مدارسته وتعليمه، وفي الوقت نفسه يحث على العمل به ويحذر من الركون والاعتماد على النسب والحسب، ومثله الاعتماد على حفظ القرآن واستظهاره دون تدبر وتأمل أو تمسك وعمل به، فلابد لحاملي القرآن -على وجه الخصوص- من تدبره والعمل بمقتضاه في جميع جوانب حياتهم، وإلا كانوا كمن قال فيهم ابن عباس رضي الله عنهما: «ولو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس»[٣]، فالقرآن حينئذ لا يحقق لهم هداية ولا يدلهم على سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

كيف والله عز وجل يأمر نبيه ﷺ وأمته باتباع وحيه والعمل بكتابه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤]، قال الحافظ ابن كثير: «أي: اقتد به واقتف أثره واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه»[٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٦]، قال القرطبي: «أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وامتثلوا

(١) الأمثال في القرآن ٢١٣-٢١٤، وانظر: الجمان في تشبيهات القرآن ٢٦٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٦.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٦٣.

(٦) سورة الأعراف، من الآية ٣.

أمره واجتنبوا نهيه»[١].

وعلى العمل بالقرآن درج سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يسمعون كلام الله ويستجيبون له كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[٢] الآية، يتواصون على طاعته واتباعه والعمل بما فيه، وهذه هي الغاية العظمى من إنزاله وتفضل الله به على هذه الأمة، وهو حال المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٣].

وجاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: «يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن، فقال أبو الدرداء: اللهم اغفر، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع»[٤]، وقال الحسن البصري: «اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه»[٥]، وقال أيضاً: «إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرؤه»[٦].

ويحكي هذه الحال المباركة مع القرآن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أصحاب النبي ﷺ فيقول: «كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك، وكان القرآن ثقيلاً عليهم ورزقوا العمل به، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والأعجمي فلا يعملون به»[٧]، وقد أبان عبد الله بن مسعود

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٦١.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٤.
(٣) سورة النور، الآية ٥١.
(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٢، المرشد الوجيز ١٩٤.
(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٣، الزهد للإمام أحمد ٤٠١.
(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٣.
(٧) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٤٩.

رضي الله عنه حال هذا الصنف الأخير مع القرآن الكريم، ممن لا يُرى للعمل بالقرآن والتحلي بآدابه أثر عليهم بقوله: «أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العمل به»[١]، وقال الحسن البصري: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم ينالوا الأمر من أوله، قال الله عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[٢]، أما تدبر آياته: اتباعه والعمل به، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء»[٣].

وفي رواية أخرى عنه بين فيها أحوال القراء بقوله: «قراء هذا القرآن ثلاثة رجال، فرجل قرأه فاتخذه بضاعة ونقله من بلد إلى بلد، ورجل قرأه فأقام على حروفه وضيع حدوده، يقول: إني والله لا أسقط من القرآن حرفاً، كثر الله بهم القبور وأخلى منهم الدور، فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره، ومن صاحب المنبر على منبره، ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته، فجثوا في برائنهم وركدوا في محاريبهم، بهم ينفي الله عنا العدو، وبهم يسقينا الله الغيث، وهذا الضرب من القراء أعز من الكبريت الأحمر»[٤].

وقد أبان لأهل زمانه حالهم مع القرآن مبيناً حال من سبقهم ممن وفقهم

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ١/ ٣٢٤.

(٢) سورة (ص)، من الآية ٢٩.

(٣) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٥٠، الزهد والرقائق لابن المبارك ٢٧٤، المرشد الوجيز ٢٠٥.

(٤) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٦٤-٦٥، المجروحين ١/ ١٤٨-١٤٩.

الله تعالى بقوله: «إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار»(١).

ومن وصاياهم رحمهم الله تعالى باتباع القرآن والعمل بما فيه ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه جمع القراء فبلغوا زهاء ثلاث مائة فوعظهم وقال: «أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب أهل الكتاب، إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زخ في قفاه فقذفه في النار»(٢)، وجاء رجل إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقال أوصني، فقال: «اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»(٣)، وكان ميمون بن مهران حريصاً على الوصية لأهل القرآن أن يعملوا به ويصلحوا أحوالهم على نهجه وهديه، قال رحمه الله تعالى: «لو أن أهل القرآن صلحوا لصلح الناس، إن هذا القرآن قد خلق في صدر كثير من الناس، والتمسوا ما سواه من الأحاديث، وإن فيمن يبتغ هذا العلم من يتخذه بضاعة يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه، ومنهم من يريد أن يماري به، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به»(٤).

وبالامتثال والتطبيق لما جاء في القرآن وتحقيق العمل بما فيه والتحلي بأخلاقه وآدابه يكون الثناء والتقدير والاحترام لصاحبه، والأمثلة على هذا

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ١/ ٣٢٤.
(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٥٧.
(٣) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٥٣.
(٤) ينظر: حلية الأولياء ٤/ ٨٣-٨٤.

كثيرة، منها قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ابن أخته مسطح بن أثاثة رضي الله عنه، فقد كان ينفق عليه لفقره وحاجته، فلما خاض في حادثة الإفك وبرأ الله ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أوقف النفقة عليه ومنعه منها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]، أعاد النفقة عليه وقال: «لا جرم، والله لا أمنعه معروفاً كنت أوليه قبل اليوم» وفي رواية : «أن أبا بكر كان يضعف له بعد نزول الآية ضعفي ما كان يعطيه»[٢].

ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عيينة بن حصن الفزاري الذي أُدخل عليه فقال: «هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[٣]، وإن هذا من الجاهلين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقيل: إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله، وكان معاذ يعلم الناس الخير، ومطيعاً لله ولرسوله ﷺ»[٥]، وكان

---

(١) سورة النور، الآية ٢٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٦٢-١٦٣، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير- باب تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية ٨/ ٣٠٤-٣٠٥ برقم ٤٦٤٢.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٣٠، الدر المنثور ٥/ ١٧٦.

ابن مسعود رضي الله عنه إذا رأى الربيع بن خثيم قال له: «يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين»[١]، وقد قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢].

المطلب الثالث: مجاهدة النفس على العمل بالقرآن ومحاسبتها على ذلك

لا ريب أن العمل بالقرآن والتأدب بآدابه والتحلي بنعوت أهله يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ومحاسبة بعد هذا كله، لقوله ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»[٣]، قال الإمام الآجري - بعد أن ذكر جملة من نعوت أهل القرآن وحملته المعتنين به -: «جميع ما ذكرته ينبغي لأهل القرآن أن يتأدبوا به ولا يغفلوا عنه، فإذا انصرفوا عن تلاوة القرآن اعتبروا أنفسهم بالمحاسبة لها، فإن تبينوا منها قبول ما ندبهم إليه مولاهم الكريم مما هو واجب عليهم من أداء فرائضه واجتناب محارمه حمدوه في ذلك وشكروا الله على ما وفقهم له، وإن علموا أن النفوس معرضة عما ندبهم إليه مولاهم الكريم قليلة الاكتراث به استغفروا الله من تقصيرهم ، وسألوه النقلة من هذه الحال التي لا تحسن بأهل القرآن ولا يرضاها لهم مولاهم إلى حال يرضاها، فإنه لا يقطع بمن لجأ إليه، ومن كانت هذه حاله وجد منفعة تلاوة القرآن في جميع أموره، وعاد إليه من بركة القرآن كل ما يحب في الدنيا والآخرة»[٤].

وعلى هذا كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يحاسبون أنفسهم على العمل بالقرآن ويوبخونها على التقصير ويأطرونها على الخير، متذكرين موقف

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ١٠٦، الدر المنثور ٦/ ٤٩.

(٢) سورة الحج، من الآيتين ٣٤-٣٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخلاق حملة القرآن ، ٧٦-٧٧.

الحساب أمام الله عز وجل، كان عمر رضي الله عنه يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»(١)، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع»(٢)، وقد سبق قول الحسن البصري رحمه الله تعالى: «رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»(٣)، وقال أيضاً: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن»(٤).

المطلب الرابع: حال المؤمن عند تلاوة القرآن أو سماعه

من نعت أهل القرآن وحالهم رقة قلوبهم وسرعة بكائهم وتأثرهم عند تلاوتهم القرآن أو سماعه من غيرهم، وهذا حال المؤمنين الخاشعين، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(٥)، وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٦)، وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين الذين من وصفهم البكاء عند

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٥٢، الزهد للإمام أحمد ١٧٧.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢١٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٢٠، الزهد والرقائق لابن المبارك ١٣.

(٥) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٢.

قراءة القرآن وسماعه، فقال عز وجل: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[١]، قال ابن عباس: «المراد به القرآن خاصة، وأنهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته»[٢]، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسجد عند الآية ويقول: «هذا السجود فأين البكي»[٣]، يريد البكاء، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحسن صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**» رواه ابن ماجة[٤]، ولذلك قال الإمام النووي: «البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين»[٥].

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى: «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه ويتفكر في الوعد ليستجلب بذلك الحزن، ألم تسمع إلى ما نعت الله عز وجل من هو بهذه الصفة وأخبر بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، ثم ذم أقواماً استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم، فقال عز وجل: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ يعني: لاهين»[٦]، وقد روي عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآيات ثم قال: «والله إن أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى، فابكوا هذه القلوب، وابكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه وإنه لقاسي القلب»[٧]، ولذلك قال إبراهيم التيمي: «من أوتي

---

(١) سورة مريم، من الآية ٥٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٠.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٦/ ٧٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٤١٢.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه (صحيح سنن ابن ماجة) أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب في حسن الصوت بالقرآن ١/ ٢٢٤ برقم ١١٠١، وصححه الألباني.

(٥) ينظر: التبيان ٦٨.

(٦) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٨١.

(٧) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ٤١.

من العلم مالا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علماً، لأن الله نعت العلماء، ثم تلا هذه الآية: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾..[1]»[2]، قال القرطبي: «هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل»[3].

وأرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة وأعظمهم تأثراً بالقرآن الكريم رسولنا وقدوتنا ﷺ، فقد كان أعرف الخلق بالله وأشدهم له خشية، من ذلك ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**إقرأ علي، قلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية** : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾، **قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان**»[4].

وإذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ ينعي حاله وحال من لا يبكي عند تلاوة القرآن، لما قدم أهل اليمن في زمنه فسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال رضي الله عنه: «هكذا كنا، ثم قست القلوب»[5]، فكيف الحال بمن بعده، مع ما عرف عنه من رقة القلب وكثرة البكاء عند تلاوة القرآن وفي صلاته، دليل ذلك ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي**

---

(١) سورة الإسراء، الآيات ١٠٧-١٠٩.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ٤١،وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٨٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٤١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٤، حلية الأولياء ١/ ٣٤، المحرر الوجيز ١/ ١٢.

بالناس، **قالت عائشة: قلت إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل**» الحديث، وفي رواية: «**إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس**»، والأسيف: هو شديد الحزن رقيق القلب،[١] وفي رواية: «**إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر**»[٢].

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون عند قراءة القرآن أو سماعه، رقة في قلوبهم وخشوعاً وخضوعاً عند كلام الله عز وجل، مع ما يكون من الوجل والخوف والبكاء، يحكي حالهم علي بن أبي طالب بقوله: «لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذُكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين»[٣]، وعن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت لجدتي أسماء-يريد: بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها-: «كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله»[٤].

والأمثلة على هذا في سيرهم العطرة كثيرة جداً، فقد كان عمر رضي الله

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٨.

(٢) ينظر لهذه الروايات: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب حد المريض أن يشهد الجماعة ٢/ ١٥٢ برقم ٦٦٤، وباب إذا بكى الإمام في الصلاة ٢/ ٢٠٦، وصحيح مسلم - كتاب الصلاة- باب إستخلاف الإمام إذا عرض له عذر ٤/ ١٤٠.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٧٦.

(٤) ينظر: التذكار ٢١١-٢١٢.

عنه «يمر بالآية فتخنقه، فيبقى في بيته أياماً يُعاد، يحسبونه مريضاً»[١]، وعن عبيد بن عمير قال: «صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ قوله:﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾[٢]، بكى حتى انقطع فركع»،وفي رواية:«أنه لما انتهى إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٣]، بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف»[٤]، وعن نافع قال: «كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه إذا قرأ: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[٥]،بكى حتى يغلبه البكاء»[٦]، وكان إذا افتتح سورة المطففين وبلغ قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٧]، بكى وأكثر البكاء حتى يمتنع من قراءة ما بعدها»[٨]، وقال ابن أبي مليكة: «كان ابن عباس يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم حكى قراءته ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾[٩]، قال: ثم بكى حتى سمع له نشيج».[١٠]

وكان هذا التأثر والبكاء ورقة القلب في نساء الصحابة كما هو في رجالهم، فعن عروة بن الزبير قال: «دخلت على أسماء وهي تصلي، فسمعتها وهي

---

(١) ينظر: الزهد للإمام أحمد ١٧٦، فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٤.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٨٤.

(٣) سورة يوسف، من الآية ٨٦.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٤-٦٥، الدر المنثور ٤/ ٥٧٣.

(٥) سورة الحديد، من الآية ١٦.

(٦) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٣٠٥.

(٧) سورة المطففين، الآية ٦.

(٨) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٣٠٥، الزهد للإمام أحمد ٢٨٤.

(٩) سورة (ق) الآية ٢١.

(١٠) ينظر: التذكار ٢٠٢.

تقرأ هذه الآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[١]، فاستعاذت، وقمت وهي تستعيذ، فلما طال علي أتيت السوق، ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ»[٢]، وكانت أختها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذا قرأت قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾[٣] تبكي حتى تبلّ خمارها[٤].

وهكذا كان التابعون ومن بعدهم ممن أنعم الله عليه برقة في قلبه وخوف وخشوع لربه عندما يتلو آياته أو يسمعها من غيره، فمن الرزايا التي يصاب بها العبد قسوة القلب، فلا يلين لموعظة ولا يستجيب لداعي الله، ولا يتأثر لما يراه أو يسمعه من آيات الله عز وجل ونحو ذلك، ولذلك روي عن بعض الصالحين قوله: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه».

والمروي عن التابعين ومن بعدهم من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى من الأمثلة الدالة على سرعة تأثرهم ورقة قلوبهم وبكائهم عند تلاوة القرآن أو سماعه من غيرهم كثير، فقد يمكث أحدهم قيامه بالليل يردد آية ما يجاوزها، عن عبد الرحمن بن عجلان قال: «بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي، فمر بهذه الآية:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٥]، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاءٍ شديد»[٦]، وعن عبد الله ابن رباح قال: «كان صفوان بن مُحْرز المازني إذا قرأ هذه الآية ﴿ وَسَيَعْلَمُ

---

(١) سورة الطور، الآية ٢٧.
(٢) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٥٥، الدر المنثور ٧/ ٦٣٥.
(٣) سورة الأحزاب ، من الآية ٣٣.
(٤) ينظر: الزهد للإمام أحمد ٢٤١، حلية الأولياء ٢/ ٤٩.
(٥) سورة الجاثية، الآية ٢١.
(٦) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ١١٢.

ﭐلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[١]، بكى حتى أقول اندق قصيص زوره»[٢]، وقام الحسن البصري ذات ليلة يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[٣]، فلما قيل له في ذلك، قال: «أرى فيها معتبراً، ما أرفع طرفاً ولا أرده إلا وقد وقع على نعمة، ومالا يعلم من نعم الله أكثر»[٤].

وجاء في سيرة محمد بن المنكدر بن الهدير: «أنه قام ذات ليلة يصلي ويقرأ القرآن فبكى وكثر بكاؤه، حتى فزع أهله وسألوه ما الذي أبكاه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج، فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك؟ قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك؟ فقال: إنه مرت بي آية من كتاب الله عز وجل، قال. وما هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾[٥]، فبكى أبو حازم أيضاً معه واشتد بكاؤهما، فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما»[٦]، ولذلك قال عنه مالك بن أنس: «كان محمد بن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي»[٧].

وما كان هذا له ولغيره إلا بتوفيق من الله ومنة ثم بمجاهدة النفس وترويضها على طاعة الله، قال رحمه الله تعالى: «كابدت نفسي أربعين سنة

---

(١) سورة الشعراء، من الآية الأخيرة.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٢١٤، وقصيص الزور: ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر، القاموس «زور» ٢/ ٤٢.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية ٣٤.

(٤) ينظر: التذكار ٢٠١.

(٥) سورة الزمر، من الآية ٤٧.

(٦) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ١٤٦، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٥٥.

(٧) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ١٤٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٤-٣٥٥.

حتى استقامت»[١]، قال الغزالي: «ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه - أي ما في القرآن- من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب»[٢].

المطلب الخامس: رعاية أهل القرآن مسؤولية القدوة بهم عند غيرهم

حامل القرآن المعتني به في مرتبة شريفة ومنزلة رفيعة، فلزمه أن يحافظ على ما أكرمه الله به وأعلى به قدره، وأن يقوم بالحقوق الواجبة عليه تجاه ربه وتجاه المخلوقين، مع التحلي بأخلاق القرآن والحذر مما نهى عنه أو توعد بالعقوبة الواقع فيه، وهو القدوة والأسوة لغيره، ومحط الأنظار عند الناس، يلحظونه في كل أحواله وتصرفاته، وتلك -وايم الله- مسؤولية عظيمة وأمانة كبيرة، أمانة الاقتداء به والنظر إليه والسير على نهجه بما أنعم الله به عليه ووفقه له، فكان لزاماً عليه أن يتقي الله في ذلك وأن لا يؤتى الإسلام من قبله.

وفي أقوال سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى تأكيد لهذا المعنى وحث عليه وتحذير من ضده، وبيان لآثاره الحسنة والسيئة عليه وعلى غيره، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس»[٣]، وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدا»[٤]، وقال عبد الله بن عباس

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ١٤٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٥.
(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ١/ ٣٢٧.
(٣) ينظر: التبيان ٤٣.
(٤) ينظر: جامع الأصول ٣/ ٢٤-٢٥.

رضـي الله عنهما: «لو أن حملة القرآن أخذوه وما ينبغي له لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس»[١].

وزاد هذا الأمر إيضاحاً معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: «إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل يقول: مالي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه، فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره، إياكم إياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة»[٢]، وقال شميط بن عجلان: «يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره،وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء، امرأة ضعيفة وأعرابي جاهل وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها، فمثله كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٣]»[٤].

وفي المقابل فقد ذم سلفنا الصالح من قرأ القرآن ونُسب إلى أهله فلم يعمل به ولم يتحل بما يجب على أهله من التمسك به والسير على نهجه والاعتياض به عن غيره من الدنيا ومتاعها الفاني، وحذروا من هذا الصنيع وأبانوا خطره على صاحبه وضرره على غيره.

من ذلك قول سفيان بن عيينه: «من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن،ألا تسمع قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) سورة النحل، الآية ٢٥.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ١٣٠.

سبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [١]، وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾»[٢]، وقوله أيضاً: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.[٣]».

وقال سفيان الثوري: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم ، لا تزيدوا التخشع على ما في القلب، فقد وضح الطريق، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين»[٤].

وبين الإمام العابد كرز بن وبرة الحارثي حقيقة القارئ الصادق للقرآن بقوله: «لا يكون العبد قارئاً حتى يكون زاهداً في الدرهم»[٥]، قال الإمام الذهبي معلقاً على قوله: «هكذا كان زهاد السلف وعبادهم، أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع، لا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والمحو والاصطلام والاتحاد وأشباه ذلك، مما لا يسوغه كبار العلماء، فنسأل الله التوفيق والإخلاص ولزوم الاتباع»[٦]، وبهذا كان الثناء على القراء الفقهاء من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، يقول الإمام الشعبي: «ما رأيت قوماً قط أكثر علماً ولا أعظم حلماً ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة ما قدمنا عليهم أحداً»[٧].

---

(١) سورة الحجر، من الآيتين ٨٧-٨٨.

(٢) سورة (طه) من الآية، ١٣١.

(٣) سورة (طه) الآية ١٣٢، وانظر. فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٣، وروى الطبري نحوه في تفسيره ١٤/ ٤٢.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٨٦.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٨٦.

(٧) سبق تخريجه.

فقد تضمنت الأقوال السابقة الزهد في الدنيا بمعناه الصحيح، وهو ألا يكون قارئ القرآن متعلقاً بها، مقدماً إياها على أوامر الله والحقوق الواجبة عليه، وألا يكون حبه الشديد لها موقعاً إياه في الحرام منقاداً لشهواته أسيراً لرغباته وحظوظه منها، ولم يكن مرادهم أن يكون القارئ عالة على غيره لا يعمل ولا يتكسب، فيعف نفسه وأهله، بل أمروا بالعمل المباح والاستغناء عن الآخرين والتعفف عن مسألتهم.

ومما حذر منه سلفنا الصالح قراء القرآن المنتسبين إلى أهله تركَ العمل به والتكسب عن طريقه، وإنما يكتفي أحدهم بالانتساب إلى أهله والتصنع أمام الناس بذلك، وهو في الحقيقة ليس منهم، فباطنه يخالف ظاهره، لا يُرى عليه القرآن في خلق ولا عمل، ولا اتباع ولا سنة، قال عاصم بن بهدلة: «قال لي أبو وائل شقيق بن سلمة: أتدري ما أشبه قراء أهل زماننا؟ قلت: ومن يشبههم؟ قال: أشبههم برجل أسمن غنماً، فلما أراد ذبحها وجدها غثى لا تنقي، أو رجل عمد إلى دراهم فلوس، فألقاها في زئبق، ثم أخرجها فكسرها فإذا هي نحاس»، وقال أيضاً: «مثل قراء أهل هذا الزمان كمثل غنم ضوائن ذات صوف، فغبط شاة منها فإذا هي لا تنقي، ثم غبط أخرى فإذا هي كذلك، فقال: أفٍ لك سائر اليوم، وكان يقول:إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق»[1].

وقد أبان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحوال القراء وأصنافهم بقوله - مخاطباً إياس بن عامر-: «إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن على ثلاثة أصناف، صنف لله، وصنف للدنيا، وصنف للجدل، فمن طلب به أدرك»[2]، وفصل

---

(١) ينظر لهما: حلية الأولياء ٤/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٤١، سنن الدارمي - كتاب فضائل القرآن- باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٤٣٤.

الحسن البصري أحوالهم بقوله: «قراء القرآن على ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن، فأولئك يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر»[١].

ومن الآفات التي قد يبتلى بها بعض القراء ما ذكره الفضيل بن عياض التميمي، بقوله: «آفة القراء العجب»[٢]، فإن هذا مرض خطير، يحرم صاحبه نفع ما معه من القرآن، ويمحق بركته فلا ينتفع منه غيره، فالعجب والكبر، والغرور واحتقار الناس مانع من إيصال الخير لهم، وسياج منيع يحرمهم بركة ما أنعم الله به عليه من نعمة القرآن الكريم.

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس قاله الإمام الآجري مبيناً فيه أخلاق من قرأ القرآن وتعلمه للدنيا لا يريد به ربه عز وجل، وخطورة هذا الأمر عليه وتعديه إلى غيره، من ذلك قوله: «فأما من قرأ القرآن للدنيا أو لأبناء الدنيا فإن من أخلاقه أن يكون حافظاً لحروف القرآن مضيعاً لحدوده، متعظماً في نفسه متكبراً على غيره، قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج، يعظم أبناء الدنيا ويُحقِّر الفقراء.

لا يخشع عند استماع القرآن ولا يبكي ولا يحزن، ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى عليه، وقد نُدب إلى ذلك، راغبٍ في الدنيا وما قرب منها، لها يغضب ويرضى، إن قصر رجل في حقه قال: أهل القرآن لا يقصر في

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٦٤-٦٥، وذكر ابن حبان نحوه في المجروحين ١/ ١٤٨-١٤٩ مرفوعاً ولا يصح.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٢.

حقوقهم، وأهل القرآن تقضى حوائجهم، يستقضي من الناس حق نفسه، ولا يستقضي من نفسه حق الله عليها، يغضب على غيره زعماً لله، ولا يغضب على نفسه لله، لا يبالي من أين اكتسب، من حرام أو من حلال، قد عظمت الدنيا في قلبه، إن فاته شيء لا يحل له أخذه حزن على فوته.

لا يتأدب بأدب القرآن ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد، لأنه غافل عما يتلو أو يتلى عليه، همته حفظ الحروف، إن أخطأ في حرف ساءه ذلك،لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين فتنقص رتبته عندهم، فتراه محزوناً مهموماً بذلك، وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله مما أمر به في القرآن أو نهى عنه غير مكترث به.

أخلاقه في كثير من أموره أخلاق الجهال الذين لا يعلمون، ولا يأخذ نفسه بالعمل بما أوجب عليه القرآن، إذا سمع الله عز وجل قال:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[1]...

فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنة لكل مفتون، لأنه إذا عمل بالأخلاق التي لا تحسن لمثله اقتدى به الجاهل، فإذا عيب على الجاهل قال: فلان الحامل لكتاب الله فعل هذا، فنحن أولى أن نفعله، ومن كانت هذه حاله فقد تعرض لعظيم وثبتت عليه الحجة، ولا عذر له إلا أن يتوب»[2].

---

(١) سورة الحشر، من الآية ٧.

(٢) أخلاق حملة القرآن ٤٣-٤٦ بتصرف، وليراجع كلامه.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعـــد

فبعد الكتابة في منهج سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - في العناية بالقرآن الكريم ظهرت لي النتائج التالية:

- بيان نعمة الله عز وجل وفضله على هذه الأمة بإنزال خير كتبه القرآن الكريم، على أفضل خلقه محمد ﷺ.
- الواجب على الأمة تجاه هذا القرآن عظيم وكبير، فلا تنحصر العناية به بأمر دون آخر، أو يغلب جانب على جانب، إذ لابد من تعظيمه وإجلاله، وإكرام أهله، والفرح به وتلاوته حق تلاوته، وحفظه وتدبر آياته، والعلم بمعانيه وتفسيره، وتفقه أحكامه، والعمل به والسير على نهجه.
- الفرح بهذا الكتاب العظيم لمن وفق وهدي إلى العناية به وخدمته، واستشعار منة الله به عليه وعلى غيره، وحمد الله سبحانه على هذه النعمة والاغتباط بها، والقيام بحقها.
- بيان أحوال السلف وذكر أقوالهم في استشعار هذه النعمة العظيمة وإجلالها والتحدث بها، واجتهادهم في شكر المنعم بها، والحرص على القيام بحقها.
- عموم هداية القرآن الكريم وشمولها، لكل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، لمن طلبها وأقبل عليها، ورام الاستهداء بها، فقد تميزت بأنها عامة وتامة وواضحة.
- بيان منهج سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- في العناية بكتاب الله عز

وجل، وشموله لجميع جوانبه، وهذا هو المنهج الحق والطريق الصواب، أسوة واقتداء بنبينا محمد ﷺ.

- عناية سلفنا الصالح بتعظيم القرآن الكريم وإجلاله، من حيث ملاحظة آداب تلاوته والالتزام بها، وتأدبهم في الحديث عنه والتعامل معه، وتحريم الاستخفاف والاستهزاء به.
- الحث على تلاوة القرآن الكريم وحفظه ومعاهدته والإكثار منه، وبيان السنة في ذلك، حيث لا يختم القرآن في أقل من ثلاث ليال، وهذا من فضل الله عز وجل وتيسيره على الأمة.
- اهتمام سلفنا الصالح بتلاوة القرآن ومحافظتهم على حزبهم منه لا يخلون به، مع عنايتهم بحفظه وتلقيه عن الشيوخ الأئمة القراء.
- حرصهم -رحمهم الله تعالى- على ترتيل القرآن وتجويده وتحسين الصوت حال تلاوته، يمتثلون أمر الله عز وجل به، ويقتدون بهدي النبي ﷺ في ذلك.
- كان ﷺ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، يرتله ويتغنى به، بلا تكلف أو تشدد، مع العناية به، وهكذا كان أصحابه والتابعون لهم بإحسان، يرشدون إلى الهدي النبوي ويثنون على من التزمه ويقربونه، وقد اشتهر بذلك أئمة قراء كثير.
- حذر سلفنا الصالح من القراءة بالألحان المطربة والأصوات المنغمة المحدثة المركبة على الأوزان الموسيقية، فالقرآن أجل وأعظم من أن يسلك به هذا المسلك.
- بيان الغاية العظمى من إنزال القرآن الكريم، وهي فهم معانيه والعلم بأحكامه، ليتم العمل به وتطبيقه والسير على نهجه والتمسك به والوقوف عند حدوده.

- إكرام أهل القرآن وحملته المعتنين به وإجلالهم، لأن هذا من إجلال الله تعالى، وهم أهل الله وخاصته، فأهله المقدمون المكرمون في الحياة وبعد الممات، وهو السبب الرئيس مع تقوى الله عز وجل في رفعة العبد وعلو قدره وسمو منزلته، والإفادة من رأيه ومشاورته.
- عناية المسلمين بإكرام أهل القرآن وحملته قديماً وحديثاً، تعظيماً لله سبحانه وإجلالاً لكلامه عز وجل، تحمل ذلك صور شتى وأمثلة متنوعة كما سبق بيانه.
- فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه، فالمعتنون به حقاً وبإخلاص هم خير الناس وأفضلهم، فعملهم ومدارستهم من الأعمال المباركة المتعدي نفعها وخيرها إلى الآخرين، وهو أيضاً باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل.
- اهتمام النبي ﷺ بتعليم القرآن وعنايته به، سواءً فيما يقوم به في مجالسه، أو ما يرشد ويوجه إليه أصحابه رضي الله عنهم.
- عناية سلفنا الصالح بهذا الأمر وحفاوتهم به، وبذلهم الجهود واحتساب الأوقات وتحمل الصعاب والشدائد من أجله، والأمثلة في سيرهم على هذا كثيرة.
- كان سلفنا الصالح يعظمون مجالس القراء ويكرمون أهلها، ويشترطون لطلب العلم والالتحاق بمجالسه حفظ القرآن، ثم ما تيسر من السنة وغير ذلك.
- من صور عنايتهم بتعلم القرآن وتعليمه ومعرفة تفسيره والفقه بأحكامه الرحلة والتغرب عن الأوطان من أجله، مع ما ينالهم في ذلك الحين من مشاق وصعاب، وقد لا يكتفي أحدهم بالأخذ عن شيخ واحد، بل يطلب القراءة والعلم عند أكثر من واحد، ممن يرى في جلوسه عنده الاستزادة في العلم وقوة التحصيل.
- لم تكن عناية سلفنا الصالح في تعليم القرآن مقتصرة على فئة من الناس

أو طبقة من المجتمع، بل شملوا بتعليمهم الصغار والكبار، الأحرار والموالي، العميان وأهل السوق، وتواصوا فيما بينهم على ذلك.

- سلك سلفنا الصالح في تعليم القرآن طرقاً شتى وأساليب متنوعة، من أجل إقبال طلابهم والناس بعامة على ذلك، كتشجيعهم والثناء عليهم وتقريبهم وإكرامهم، وتفقد حاجاتهم وسد عوزهم وفقرهم، ويرشدون إلى الطريقة المثلى في حفظ القرآن ومعاهدته، والمنهج الصواب في فهم معانيه والعلم بأحكامه.
- ضرب طلاب العلم من سلفنا الصالح أروع الأمثلة في التزام طالب العلم كل أدب رفيع وخلق فاضل مع شيخه ومعلمه، مع الحرص على الإفادة منه وإجلاله واحترامه وملازمته، والتواضع معه والدعاء له بظهر الغيب.
- بيان شرف علم التفسير والفقه بأحكام القرآن، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أعظم ولا أشرف من كلام الله سبحانه وتعالى، وأن من وفق للعناية به فهو على خير عظيم وتوفيق مبارك من الله سبحانه.
- تفاوت الصحابة ومن بعدهم من التابعين في العلم بتفسير القرآن وأحكامه، حيث جلسوا إلى المشايخ يتعلمون منهم ويتتلمذون على أيديهم، مع الرحلة إليهم وتحمل المشاق والصعاب والتعرض للأخطار من أجله، ولم يكن لاجتهادهم في طلب العلم والتزود من الفقه نهاية إلا الموت.
- عناية أهل العلم منهم بتعليم معاني القرآن وأحكامه طلابهم، وإكرامهم وتقديرهم والحفاوة بهم، وتعظيم هذا العلم وتوقير مجالسه.
- وجوب العناية ببقية العلوم المعينة على فهم القرآن ومعرفة تفسيره وأحكامه، كالعلم بلغة العرب والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

- بيان تحرج بعض السلف من التفسير، وسبب ذلك أنهم لم يكونوا يعلمون ما سئلوا عنه أو احتاطوا لأنفسهم لما علموا أن غيرهم سيكفيهم إجابة من سأل، أما التفسير بمجرد الرأي فحرام.
- أهل القرآن المعتنون به هم أولى الناس باتباعه والتحلي بنعوت أهله والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، وخير الخلق نبينا وقدوتنا محمد ﷺ، وقد أثنى عليه ربنا بذلك، وكذا صحابته رضي الله عنهم أجمعين.
- من نعوت أهل القرآن الجمع بين صلاح الظاهر والباطن، والتحلي بالسنة والحذر من البدعة، لهم حزب من القرآن لا يخلّون به، وتظهر آثار تلك العناية به على أخلاقهم وسلوكهم وأدبهم.
- التحذير من الإعراض عن القرآن وهجره وترك العمل به، فمثل حال هؤلاء كمثل اليهود الذين حملوا التوراة فلم يحملوها، فشبهوا بأقبح صورة، كحال الحمار الذي يحمل أسفاراً، نعوذ بالله من الخذلان.
- تواصي سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وتعاونهم على العمل بالقرآن والوقوف عند حدوده، والإرشاد إلى ذلك والتذكير به، والثناء على من التزمه وعمل به وسار على نهجه.
- من نعت أهل القرآن رقة قلوبهم وسرعة تأثرهم وبكائهم، كما وصف الله عباده المؤمنين الصادقين الخاشعين، وأرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة نبينا وقدوتنا محمد ﷺ، والتحذير من قسوة القلب والغفلة.

ثبت المصادر والمراجـــــع

- الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- تعليق مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دمشق بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م.
- إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي- دار الفكر - بيروت - بدون.
- أخلاق حملة القرآن - محمد بن الحسين الآجري- تحقيق وتعليق فواز أحمد زمرلي - دار الكتاب العربي- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- أدب الدنيا والدين- علي بن محمد الماوردي - تحقيق سعيد محمد اللحام - دار ومكتبة هلال - ١٩٨٨م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل- محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- بيروت دمشق- الطبعة الثانية- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - علي بن الأثير - دار إحياء التراث العربي - بيروت -بدون.
- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الكتاب العربي -بيروت- بدون.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي- دار الكتاب العربي- بيروت -١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- أعلام النبوة- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - دار الكتب العلمية - بيروت -بدون.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - محمد بن أبي بكر ابن القيم- بعناية

محمد حامد الفقي- دار المعرفة - بيروت - بدون.
- الأمثال في القرآن- محمد بن أبي بكر ابن القيم - تحقيق سعيد الخطيب- دار المعرفة - بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الإيمان - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- مكتبة أنس بن مالك -١٤٠٠هـ.
- بدع القراء القديمة والمعاصرة- بكر بن عبد الله أبو زيد- مؤسسة قرطبة - مطبعة المدني- القاهرة-بدون.
- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد الزركشي - تحقيق محمد إبراهيم- دار المعرفة - بيروت- الطبعة الثانية.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق رضوان محمد رضوان- دار الكتاب العربي- بيروت - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- تاريخ بغداد - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي- بيروت.
- التاريخ الصغير - محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق محمد إبراهيم زايد - دار الوعي - حلب - الطبعة الأولى - ١٣٧٩ هـ - ١٩٧٧ م.
- تأويل مشكل القرآن - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- بعناية أحمد صقر- المكتبة العلمية - المدينة المنورة - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.
- التبيان في آداب حملة القرآن - أبو زكريا يحي بن شرف النووي - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة دار البيان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- التذكار في أفضل الأذكار - محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق بشير محمد

عيون - دار البيان- دمشق وبيروت - الطبعة الرابعة - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.
- تفسير البحر المحيط - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي- دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) -علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن- دار الفكر- بيروت - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- تفسير القرآن العظيم -عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم - تحقيق أسعد محمد الطيب- مكتبة الباز -مكة المكرمة - الرياض- الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير- دار المعرفة- بيروت- بدون.
- التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.
- تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق محمد عوّامة- دار الرشيد- حلب- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار صادر- بيروت - الطبعة الأولى- ١٣٢٥هـ.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد- سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب- المكتب الإسلامي- دمشق- الطبعة السادسة- ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- جامع الأصول من أحاديث الرسول- مبارك بن محمد بن الأثير- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثانية - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.
- جامع بيان العلم وفضله - يوسف بن عبد البر- دار الفكر- بيروت- بدون.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي- تحقيق أحمد البردوني- دار الفكر- بيروت -بدون.
- الجرح والتعديل- عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.
- الجمان في تشبيهات القرآن- عبد الله بن الحسين بن ناقيا- تحقيق محمود الشيباني- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني- دار الكتاب العربي - القاهرة - الطبعة الرابعة-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- خصائص القرآن الكريم - فهد بن عبد الرحمن الرومي- الطبعة الرابعة - ١٤٠٩هـ.
- الداء والدواء (الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي)- محمد بن أبي بكر ابن القيم- تحقيق يوسف علي بدوي- دار ابن كثير- دمشق - بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- دار الفكر -بيروت - الطبعة الثانية -١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- أبو الفضل محمود الألوسي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.
- زاد المعاد في هدي خير العباد- محمد بن أبي بكر ابن القيم- تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت - الطبعة الثالثة- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- الزهد- أحمد بن محمد بن حنبل- تحقيق محمد بسيوني زغلول- دار

الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الزهد والرقائق - عبد الله بن المبارك - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- دار الكتب العلمية - بيروت.
- سنن الدارمي - عبد الله بن بهرام الدارمي- دار الفكر- بيروت - بدون.
- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه- تحقيق محمد الأعظمي- شركة الطباعة العربية السعودية- الطبعة الثانية- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- عناية محيي الدين عبد الحميد- دار إحياء التراث العربي- بيروت - بدون.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) -تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة-الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي- دار المعرفة-بيروت- بدون.
- سنن النسائي - أحمد بن شعيب النسائي - دار الكتاب العربي - بيروت- بدون.
- سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية- ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.
- شرح النووي على صحيح مسلم- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر - بيروت.
- شعب الإيمان - أحمد بن الحسين البيهقي- تحقيق محمد بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - عياض بن موسى اليحصبي- تحقيق علي محمد البجاوي- طبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته- محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي- بيروت - دمشق- الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- صحيح سنن ابن ماجه -محمد ناصر الدين الألباني- إشراف زهير الشاويش- مكتب التربية العربي لدول الخليج- الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- صحيح سنن أبي داود- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- صفة الصفوة - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي- تحقيق محمود فاخوري- دار المعرفة -بيروت- الطبعة الرابعة -١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته- محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي -دمشق- الطبعة الثانية- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - دار صادر - بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء - محمد بن محمد ابن الجزري- بعناية ج برجستراسر- دار الكتب العلمية -بيروت -الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي- إشراف الشيخ عبد العزيز بن باز- دار الفكر- بيروت- بدون.
- فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر- محمد المغراوي- مجموعة التحف النفائس الدولية- الرياض- الطبعة الأولى -١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - بعناية الشيخ عبد العزيز بن باز - المكتبة السلفية - المدينة المنورة- الطبعة

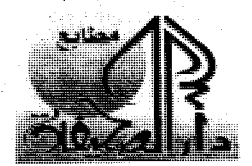
الخامسة - ١٣٩١هـ.
- فضائل القرآن- أبو عبيد القاسم بن سلام- تحقيق وهبي غاوجي- دار الكتب العلمية- بيروت - الطبعة الأولى- ١٤١١هـ.
- فضائل القرآن - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تحقيق زهير شفيق الكبي- دار الفكر العربي -بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- فن التجويد - عزة عبيد دعاس- مكتبة الثقافة- مكة المكرمة - الطبعة السابعة -١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير- محمد عبدالرؤوف المناوي- المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة- ١٩٨٣م.
- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروزآبادي - دار الفكر -بيروت- ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل- جار الله محمود بن عمر الزمخشري- دار المعرفة -بيروت - بدون.
- كشف الأستار عن زوائد مسند البزار- علي بن أبي بكر الهيثمي- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة الثانية - ١٤٠٤هـ.
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة- دار صادر- بيروت- بدون.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين - محمد بن حبان بن أبي حاتم- تحقيق محمود إبراهيم زايد- دار الوعي - حلب- الطبعة الثانية - ١٤٠٢هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي- مؤسسة المعارف- بيروت-١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- المجموع شرح المهذب- أبو زكريا يحي بن شرف النووي- دار الفكر- بيروت.
-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم-مكتبة ابن تيمية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز -عبد الحق بن غالب بن عطية- تحقيق المجلس العلمي بفاس- توزيع مكتبة ابن تيمية- القاهرة- بدون.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز -عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة- تحقيق طيار آلتي حولاج- دار صادر- بيروت- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- المستدرك على الصحيحين وحاشيته تلخيص المستدرك للذهبي - أبو عبد الله الحاكم- دار الكتاب العربي-بيروت.
- المسند - أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي- بيروت-الطبعة الخامسة- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- المسند - أحمد بن حنبل- تحقيق أحمد شاكر- دار المعارف- مصر- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.
- مشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله التبريزي- تحقيق محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- دمشق وبيروت- الطبعة الثالثة - ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- المصاحف - أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني- دار الكتب العلمية - بيروت-الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
-مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه - أحمد بن أبي بكر البوصيري- تحقيق كمال يوسف الحوت- مؤسسة الكتب الثقافية - دار الجنان - بيروت- الطبعة الأولى -١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- المصنف - عبد الرزاق بن همام الصنعاني- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- المكتب الإسلامي- دمشق -بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- المصنف في الأحاديث والآثار- عبد الله ابن محمد ابن أبي شيبة- بعناية كمال يوسف الحوت- دار التاج - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله الحموي-دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني- تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي- مطبعة الوطن العربي- العراق- الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق شعيب الأرناؤوط وصالح عباس- مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح - عبيد بن أبي نفيع الشعبي - دار الوطن - الطبعة الثانية - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المفردات في غريب القرآن - الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني- تحقيق محمد سيد كيلاني- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد بن عبد العظيم الزرقاني- دار الفكر- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين - محمد بن محمد بن الجزري - بعناية علي بن محمد العمران - دار عالم الفوائد - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ.
- الموطأ - مالك بن أنس- بعناية محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث

العربي- بيروت-١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الناسخ والمنسوخ- عبد القاهر بن طاهر البغدادي- تحقيق حلمي كامل- دار العدوي- عمّان- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض- شهاب الدين الخفاجي- دار الفكر- بيروت- بدون.
- النشر في القراءات العشر- محمد بن محمد ابن الجزري- تحقيق علي الضباع - دار الكتاب العربي- بيروت - بدون.
- نهاية الأرب في فنون الأدب- شهاب الدين أحمد النويري- مصور عن دار الكتب- وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد بن الأثير- تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي - دار الباز - مكة المكرمة.
- نواسخ القرآن- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي- تحقيق محمد أشرف الملباري- الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ- الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

فهرس الموضوعات



القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣ / فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤